الباب الخامس

الغزو البحرى الأنجلوفرنسى لمصر

الفصل الحادى عشر : اللطمات العشر والضربة القاضية

الفصل الثانـى عشر : سفر طويل وقتال قصير

الفصل الثالث عشر : اليوم المشهود والغزو الموعود

الفصل الرابع عشـر : ضباب حول قرية الكاب

الفصل الحادى عشر

اللطمات العشر... والضربة القاضية

مقدمة - اللطمات العشر - والضربة القاضية

مقدمة:

تداخلت أمور السياسة فى الحرب قبيل وأثناء الغزو البحرى الأنجلوفرنسى لمصر بالقدر الذى لا تكتمل معه صورة الأحداث إلا بالجمع بينهما فى ملحمة سياسية عسكرية واحدة ، تربط الحدث الدبلوماسى والسياسى فى مختلف عواصم العالم بالموقف العسكرى فى مسرح الحرب برباط متين .

وعلى خلاف نجاح الاستعمار البريطانى فى احتلال مصر فى خريف ١٨٨٢ ، وما تبعه من دخول الجنرال وولسلى القاهرة ؛ ليقوض كيان الثورة العرابية ويحمى الخديوى توفيق ، فقد فشل فى خريف ١٩٥٦ فى أن يعيد إحتلالها مرة أخرى ليدخل الجنرال كيتلى القاهرة ، ويقوض أركان الحكم الثورى القائم فيها ، ويحمى المصالح الإمبريالية التى تعرضت للخطر ، بفعل قرارات التمصير التى كان أولها وأشدها وقعاً تأميم شركة قناة السويس .

فلم يكن هناك من يقوم هذه المرة بدور دى لسبس المخاتل ، فيبذل وعوده المخادعة بألا تستخدم القناة فى غزو مصر ، كما لم يكن هناك عرابى آخر ليقبل تلك الوعود الكاذبة ، أو سلطان فى القسطنطينية يدمغ عرابى بالخيانة والمروق عن طاعة ولى الأمر ؛ لتخذله الأمة وتنصرف عن مؤازرته . ولذلك بادر الرئيس عبد الناصر بإصدار أمره صباح الخميس أول نوفمبر بغلق المجرى المائى للقناة ، وسرعان ما تم إغراق السفينة عكا المحملة بالأسمنت فى

أضيق مكان بالمجرى جنوب بحيرة التمساح مباشرة. ثم تتابع إغراق السفن فى الأجزاء الأخرى من القناة حتى تجاوز عددها الخمسين [١] .

ثم أعلن راديو القاهرة فى الساعة الثانية والنصف عصراً أن الملاحة قد توقفت فى القناة ، ورغم أن هذا البلاغ أفقد العدوان الأنجلو فرنسى ذريعة التدخل لحماية استمرار الملاحة فى القناة . . فإن الأسطول الأنجلو فرنسى استمر فى تحركه نحو شاطئ الغزو ببورسعيد ، إذ لم تكن حقيقة هدفه حماية الملاحة فى القناة بل إعادة احتلال مصر ، إلا أن الفشل كان نصيبه هذه المرة .

وقد ترتب على هذا الفشل أن انحسر كابوس الاستعمار الغربى عن الشرق الأوسط ، وغربت شمس الإمبراطورية التى لم تكن تغيب عنها الشمس . وخلال كل ذلك لم تنقطع برقيات التهديد ، وخطب الاستهجان ومظاهرات الاعتراض ، ومقالات الاتهام بانتهاج شريعة الغاب ، التى راحت تنهال على أنتونى إيدن رئيس وزراء المملكة المتحدة ، خلال الأسبوع الذى تلى ضرب مصر بقنابل الطائرات الأنجلوفرنسية مساء ٣١ أكتوبر ١٩٥٦ ، حتى فاقت فى العدد والتأثير عدد القنابل ، التى ألقتها الطائرات على مصر وتأثيرها ، وانتهت بانهياره وسقوط حكومته [٢] .

اللطمات العشر :

فبينما كانت الطائرات تلقى بأولى قذائفها على مصر مساء ٣١ أكتوبر ، كان أنتونى إيدن يتلقى اللطمة الأولى من سلسلة اللطمات المؤلمة ، التى راحت تنهال عليه من كل حدب وصوب حتى سببت له الانهيار التام الذى ألزمه الفراش يوم ١٨ نوفمبر [٣] .

ففى نفس ذلك المساء أعرب أنتونى ناتنج - أقرب وزرائه إلى قلبه - عن رغبته فى الاستقالة لشعوره بأنه لم يعد يستطيع الدفاع عن سياسة حكومة المملكة المتحدة ، سواء بمجلس العموم أو فى أروقة الأمم المتحدة . ولحرص ناتنج على ألا يحرج إيدن فقد وعده بألا يذيع نبأ

استقالته ، وأن يعزو سبب تخلفه عن جلسات مجلسى الوزراء والبرلمان إلى وعكة طارئة . إلا أن الصحافة سرعان ما نجحت فى كشف الحقيقة ، فاضطر إيدن إلى إعلانها فى منتصف ليلة ٣ نوفمبر ؛ لتتبعها استقالة كل من بيل كلارك سكرتير إيدن الصحفى ، ثم السير إدوارد بويل مستشاره الاقتصادى ، كما بدأ هارولد ماكميلان وزير الخزانة يتحول عن معسكر الصقور إلى معسكر الحمائم ؛ مما دفع ريتشارد بتلر زعيم مجلس العموم إلى وصفه بأنه صاحب أطول الأدوار فى دراما العدوان ، إذ كان أول من حضّ عليه وآخر من تنكر له .

وفى نفس هذا المساء ؛ تلقى إيدن اللطمة الثانية من الأمم المتحدة عندما لوح داج همرشولد سكرتيرها العام بعزمة على الاستقالة احتجاجاً على الإنذار الأنجلوفرنسى لمصر ، وما عمدت إليه هاتين الحكومتين من استخدام حق الفيتو فى مجلس الأمن ؛ لعرقلة قراراته بوقف العدوان الإسرائيلى على مصر . واكد همرشولد أنه لا يستطيع مواصلة عمله ، إذا لم يلتزم كافة الأعضاء باحترام ميثاق الامم المتحدة وعدم الخروج عليه[٤] .

ثم جاءت اللطمة الثالثة من القائد العام للأسطول البريطانى اللورد لويس مونتباتن ، الذى أعرب له فى رسالة شخصية عن قلقه وشدة خوفه ؛ مما سوف يترتب على غزو مصر من إضرار بسمعة المملكة المتحدة ومصالح الغرب . وبعد أن ابدى اعتذاره لاضطراره الى التدخل فى مسائل سياسية لا يحق له كرجل عسكرى الخوض فيها ، أكد لإيدن أن غزو مصر لن يحل المشكلة ، بل سوف يزيدها تعقيدا . ثم مضى يقول إنه وإن لم يدخر جهداً فى إعداد أسطول الغزو تنفيذاً لأوامر الحكومة إلا أنه لم يعد يستطيع - والأسطول يقترب من أهدافه - إلا أن يلتمس من رئيس الحكومة قبول قرار عدم معارضة قرار مجلس الأمن بوقف كافه الأعمال الحربية ، وإعادة السفن قبل أن تضيع الفرصة التى سوف يعقبها الندم الأكبر .

وبمجرد أن قرأ إيدن الرسالة ، اتصل هاتفياً بمونتباتن ليعرب عن شكره على نصائحه ؛ مما دفع مونتباتن إلى أن يستأذنه فى إعادة قافلة الغزو ، بعد أن ظن أنه قبل نصيحته ، إلا أنه صدم برد إيدن الذى قال له إن قراءة رسالته لا تعنى بالضرورة الأخذ بنصائحه ![٥]

ولم يكد ايدن ينفض تأثير تلك اللطمات الثلاث السابقة عن ذهنه ، حتى جاءته اللطمة الرابعة من هيوجيتسكيل زعيم حزب العمال ، الذى اتهمه علنا عصر يوم ٣ نوفمبر داخل

مجلس العمـوم ، بأنه ذاهب إلى بورسعيد ليـمارس شريعه الغاب ، فيقتـل صاحب البيت ليحمـى اللصوص . ثم صاح بـأعلى صوته إن الشـرف البريطانى لـم يعد ينقذه مـن تلك الفضيحة ، إلا إسقاط حكومة ايدن على الفور [٦] .

ثم أعقبه جيمس جريفيث ، نائب زعيم المعارضة بمجلس العموم ، فطالب بطرح الثقة بالحكـومة التى تستـخدم السلاح فى تحد سـافرٍ لميثاق الأمم المـتحدة ، وضد رغبة قـطاعات عريضة من الـشعب البريطانى ، وحكـومات دول الكومنولث ، بما اصاب حـلف الأطلسى بالحرج ، وهز أركان النظام العالمى [٧] .

ولم يُجد ايدن نفعاً محاولة تلطيف تلك الاتـهامات بإذاعة بيان على الشعب مساء نفس اليوم ، يؤكـد فيه أنه من أنصار الـسلام الذى عمل له طول حـياته ، إذ ما كاد ينهـى بيانه حتى صـك سمعه ، وهـو جـالس مع سلويـن لويد وزير خارجـيته بالمقر رقـم ١٠ بشارع داوننج ، هدير المـظاهرات الصاخبة بميدان الـطرف الأغر وهـى تطـالبـه بالاستقـالـة ، وبالكف فـوراً عـن العـدوان على مصر [٨] .

ثم كال له الرئيس أيزنهاور اللطمة الخامسة ؛ حتى لاتفلت منه فرصة أن تحل الولايات المتحدة محل بريطانيا وفرنسا فى الشرق الأوسط ، قبل أن يسبقها الدب الروسى إلى تلك المنطقة الحيوية بنفطها الغزير ، ومياهها الدافئة ، وموقعها الفريد ، وأسواقها الضخمة .

ولذلك ركز جهوده على سرعة نقل القضية من مجلس الأمن إلى الجمعية العمومية ؛ حيث لا يحق لاى عضو فيها أن يستخدم الفيتو ، ثم راح يستحث كابوت لودج مندوبه هناك على الإسراع بإصدار قرار إدانة العدوان ووقفه ، مع التهديد بفرض العقوبات على الحكومات التى ترفض الانصياع له . وفى الساعة الثانية بعد منتصف ليلة ٢/ ٣ نوفمبر ، صدر القرار بأغلبية ٦٥ صوتاً ضد ٥ ، وهز وجدان إيدن ألا يقف معه خلاف طرفى العدوان إلا أستراليا ونيوزيلندا فقط ، دون باقى دول الكومنولث وأوروبا الغربيه [٩] .

ثم اتبع الرئيس أيزنهاور تلك اللطمة الخامسة بالسادسة ، التى كانت أشد ايلاماً لإيدن وحكومته برفض مساعدته مالياً ، ما لم يوقف العدوان ، وينصاع لقرارات الجمعية العمومية للأمم المتحدة [١٠] .

وجاءت اللطمة السابعة من زميلى التواطؤ ، اللذين اجتمعا بـ « ليل » من وراء ظهر إيدن ليشنا عدواناً فوريا أطلقا عليه الاسم الرمزى " خطة الزى " ؛ حيث كان على القوات الإسرائيلية المشتركة فيه أن ترتدى الزى الفرنسى ، زيادة فى التعمية ، ثم أرسلا برقية عاجلة إلى باريس فى الساعة الخامسة والنصف عصر يوم ٤ نوفمبر ؛ لسحب قوات المظلات الفرنسية من تحت إمرة الجنرال كيتلى ؛ لاستخدامها صباح الغد فى الاستيلاء على بور فؤاد بعملية اقتحام جوى رأسى ، بينما تتقدم القوات الإسرائيلية على المحور الساحلى الشمالى ؛ لتستولى على القنطرة شرق .

وامتلأ وجه إيدن بالأسى بمجرد أن علم بما يقوم به زميلا التواطؤ فى الخفاء ، لاسيما وأن ذلك سوف يكون الضربة القاضية لمخطط العدوان الثلاثى بصفة عامة ، ولحكومة المملكة المتحدة على وجه الخصوص .

ومارع إيدن بإصدار أمره إلى كيتلى لمعالجة الموقف ، وإقناع الفرنسيين بالأضرار الأكيدة التى سوف تترتب عليه . وقد استنفد ذلك من كيتلى وقتاً وجهداً كبيرين ، حتى نجح فى الساعة الواحدة من بعد منتصف الليل فى إقناع القادة الفرنسيين بصرف النظر عن تلك الخطة الثنائية [١١] .

ووجه سانت لوران رئيس وزراء كندا اللطمة الثامنة لإيدن ، عندما أذاع فى التلفاز الكندى يوم ٤ نوفمبر " إن ما تفعله الحكومة البريطانية حاليا أضر بالعلاقات التى تربط بين دول الكومنولث ، كما أساء إلى حلف شمال الأطلسى بصورة ليس لها مثيل منذ الحرب العالمية الثانية " (١٢) .

أما اللطمة التاسعة ، فقد جاءته هذه المرة من طرف بن جوريون ، فكانت أشدها إحراجًا ، عندما قبل وقف إطلاق النار صباح يوم ٥ نوفمبر ، دون أن يخطر حليفيه مسبقاً، وبينما قواتهما تقتحم بور سعيد من الجو ، فأبطل بذلك ذريعه تدخلهما لوقف القتال الدائر بين مصر وإسرائيل ، بعد أن توقف فعلاً .

وعقب رجاء حار من موليه بأن يحفظ بن جوريون لفرنسا والمملكة المتحدة ماء وجههما ، قبل رئيس وزراء إسرائيل على مضض أن يضيف إلى البلاغ ، الذى أصدره بقبول وقف إطلاق النيران ، فقرات أخرى جديده منها فقرة تشترط وقف أعمال الفدائيين أولا(١٣) .

ولم تقتصر اللطمة العاشرة التى كالها الدب السوفييتى لإيدن على إثارة أشد درجات الذعر لشعوب العدوان ، بل أنذرت بحرب نووية لا تبقى ولا تذر ، مما زاد من هياج الضمير العالمى الذى ملأت أصوات احتجاجه أرجاء المعمورة ، وتبارت أجهزة الإعلام فى المطالبة بالقصاص من المعتدين ؛ ففى مساء يوم ٥ نوفمبر أرسل نيكولاى بولجانين إنذاراً إلى كل من إيدن وموليه وبن جوريون ، كان نصيب إيدن من كلماته اللاذعة ما يلى :

" إن مشكلة قناة السويس لم تكن إلا ذريعة للعدوان المبيت على العرب ؛ لتصفية إستقلالهم الوطنى . فكيف تجد بريطانيا نفسها ، إذا ما قامت دولة أقوى منها تملك كافة أنواع الأسلحة الحديثة للدمار بالاعتداء عليها ؟ "

إن مثل هذه الدولة القوية لن تحتاج إلى إرسال أساطيل إلى سواحل الجزيرة البريطانية ؛ فلديها من الوسائل الأخرى كالصواريخ ما سوف يتكفل بذلك . فإذا ما استخدمت تلك الصواريخ ضد بريطانيا وفرنسا ، فهل سوف تعتبر حكومتهما أن ذلك عملاً بربرياً غير مسؤول ؟ (١٤)

ثم زاد بولجانين فى إنذاره موليه بسؤاله كيف تستطيع التوفيق بين مباديء الاشتراكية وحروب العدوان الاستعمارية ؟ (١٥)

أما بن جوريـون فكانت رسالته تشـتمل على الفقرة الـتالية " إن الحكومة الإسرائـيلية المجرمة تتلاعب اليوم بالسـلام العالمى وبمصـير شعبها ، وهى تزرع الحقد فى صدور الشعوب الشرقية ضد إسرائيل بما يعرض استمرارها كدولة للخطر " (١٦) .

والضربة القاضية (١٧)

فـى صـباح الثلاثاء ٦ نـوفمبر ، تلـقى إيدن الضـربة القاضيـة خلال اجتماع مـجلس الوزراء ، وبيـنما قوات كيتـلى تقتحـم ساحل بور سعيـد ، إذ فاجأه هارولد ماكـميلان وزير الخزانة بأن احتياطى المملكة من أرصدة الذهب قد هـبط بنـحو مائـة مليـون جنيـه ، خلال الأسـبوع المـنصـرم ؛ بما يـعرض الاقـتصـاد للانـهيـار القريـب ، لا سيمـا وقد رفـضت الحكومة الأمريـكية السماح بسحـب أيه مبالغ من رصيد بريـطانيا بصندوق النـقد الدولى ، بصفة كونها أكبر المساهمين ، وصاحبة الكلمة الأخيرة فى التصديق على القروض والمعاملات المالية ، التى يقدمها البنك لعملائه .

وأوضح ما كميلان لـلوزراء الحاضرين ، أنه ما لـم يوقف إطلاق الـنار على الـفور . . فإنه لن يكون مسؤولا عما سوف يصيب البلاد من كوارث وأزمات مـالية . ولاحظ المجتمـعون أن إيدن تملكتـه على الفور نوبـة من اليأس المشوب بالإحباط الشديد ، فقناة السويس قد أغلقت ، والنفط قد توقف ضخه ، والحلفاء قد تخلوا عنه ، والدب الروسى يهدده بالويل والثبور ، والاقتصاد الوطنى ينهار ، والرأى العام العالمى يطالـب برقبته ، ومجلس العموم يتـأهب لسحب الثقة منه ، والرئيـس عبد الناصر صار أسطورة فى الوطن العربى والعالم الثالث .

وفى تلك اللحظة انهار إيدن تماماً ، ووافق على إيقاف إطلاق النار ، اعتباراً من الساعة الثانية بعد منتصف ليلة ٦ / ٧ نوفمبر ١٩٥٦ ، أى قبل أن تمر ١٨ ساعة على نزول القوة الرئيسية للغزو البحرى على ساحل بور سعيد ،[١٨] ولم تكن قد بلغت بلدة القنطرة بعد .

توثيق الفصل الحادى عشر

(١) Op.Cit. : The Twice Fought War, p. 528.

وأيضاً : Op.Cit. : Warriors At Suez, pp. 393–394.

(٢) Op.Cit. : Full Circle, pp. 545–546.

وأيضاً : Op.Cit. : The Story of Suez, pp. 119–121, and pp. 123–124.

وأيضاً : Op.Cit. : The Twice Fought War, p. 560–561, and 568–569.

(٣) المصدر السابق ، حرب السويس ١٩٥٦ ، ص ١١٠ .

وأيضاً : Op.Cit. : The Story of Suez, pp. 122–123.

وأيضاً : Op.Cit. : Suez 1956, A Personal Account, p. 204.

(٤) Urquhart, Brian : Hammarsrold (London, The Bodley Head, 1972), p. 174.

(٥) Op.Cit. : Warriors At Suez, pp. 399–400.

(٦) Shuckburgh, Evelyn : Descent To Suez Diaries (London Weiden fild and Nicolson, 1986), p. 363.

وأيضاً : Op.Cit. : The Story of Suez, pp. 128 and p. 131.

وأيضاً : Johnson, Paul, The Suez War, pp. 96–98.

(٧) Op.Cit. : The Twice Fought War, p. 561.

(٨) Op.Cit. : The Suez War, p. 101.

(٩) المصدر السابق : حرب السويس ١٩٥٦ ، ص ١٠٦ – ١٠٧ .

وأيضاً : Eban, Abba : An Auto–Biography (London, Weiden fild and Nicolson, 1977), p. 225.

(١٠) Op.Cit. : The Twice Fought War, p. 623–625.

وأيضاً : Op.Cit. : Warriors At Suez, p. 410.

(١١) Ibid, pp. 576–577.

وأيضاً : Ibid, pp. 402.

(١٢) Ibid, p. 564.

(١٣) المصدر السابق : ملفات السويس ، ص ٥٦٠ .

وأيضاً : Op.Cit. : Elusive Victory, pp. 197.

(١٤) Op.Cit. : Warriors At Suez, pp. 403–404.

(١٥) Ibid, pp. 404.

(١٦) Ibid, pp. 404.

(١٧) Op.Cit. : Full Circle, pp. 556–557.

وأيضاً : Ibid, pp. 409–410.

وأيضاً : Op.Cit. : The Story of Suez, pp. 145–146.

(١٨) Ibid, pp. 410.

وأيضاً : Op.Cit. : Descent To Suez Diaries, p. 365.

الفصل الثانى عشر

سفر طويل ... وقتال قصير

مقدمة - خطة الغزو - الفكره العامة - مراحل الخطة - قوات الغزو - التشكيل للمعركة - مهام القتال - سفر طويل - التمهيد الجوى المركز - التعديلات الاخيرة - خطة الدفاع عن بور سعيد - قتال قصير : أول اقتحام راسى فى التاريخ - القتال فى الجميل - وفى مدينة بور فؤاد - حرائق بلا نقطة ماء - الغد المجهول .

مقدمة :

كان قد مرَّ على ضرب الإسكندرية بأسطول الادميرال سيمور نيّف و ٨٨٨ شهراً عندما عاد أحد أحفاده - الأدميرال روبين دانفورد سلاتر - ليكرر نفس العدوان ، ويضرب الثغر الآخر الواقع على الطرف الشرقى من الدلتا ببور سعيد .

ورغم أن ضمير الأدميرال لويس مونتباتن دفعه إلى إقناع إيدن ألا يستخدم عياراً اكبر من ٤,٥ بوصة من مدفعية الأسطول ، و١٠ دقائق من قصف الطائرات . . فإن ضرب الأسطول الانجلوفرنسى لبورسعيد هدم أحياءً بأكملها فوق رؤوس قاطنيها ، دون أن يفرق بين رضيع وعجوز أو ذكر و أنثى . وقد وصف الطبيب ساندى كافاناه - الذى نزل مع المظليين فى الموجه الأولى - تلك المجزرة الدموية التى شاهدها رأى العين ، فقال " لقد كان المنظر شديد البشاعة مثيراً للأسى ؛ إذ كان عدد القتلى من المدنيين مفزعاً ، وظلت اللوارى وعربات الكارو تنقل جثث الرجال والنساء والأطفال فى حمولات تلو حمولات ، إلى حيث كان يتم دفنهم فى مقابر جماعية [1] .

ولأن الزمن كان غير زمن سيمور أو ولسلى ، فقد ترتَّب على قصف بور سعيد بتلك الوحشية الدامية أن ثارت موجة عارمة من الاحتجاج ، شملت جماهير العالم أجمع ، فيما عدا شعب إسرائيل. وقد تميز الغزو البحرى الأنجلوفرنسى بسمات خاصة، نجملها فيما يلى:

١ - التخبط الشديد الذى واكب مرحلة إعداده وتخطيطه ، وكثرة التعديلات التى أدخلت على الخطة حتى زادت على العشرة .

٢ - طول مدة السفر ، التى استغرقتها الرحلة لقوات الغزو بين موانى التجمع وساحل الابرار .

٣- كثرة المشاحنات بين أطراف التواطؤ قبيل وأثناء القتال ، بما استدعى إيقاف العمليات ، ثم استئنافها عدة مرات .

٤ - قصر مدة القتال الذى لم يتجاوز ١٨ ساعة فقط .

٥ - وقف النيران قبل أن يتحقق الهدف من تلك العملية الضخمة والبالغة التعقيد .

خطه الغزو:

تميَّزت خطة الغزو التى وضعتها القيادة الأنجلوفرنسية المشتركة بناء على التخطيط المبدئى الذى رسمه الجنرال أندريه بوفر ، عندما اختلى فى منزل أحد أصدقائه بباريس فى مطلع شهر اغسطس ١٩٥٦ ، بكثرة التعديلات التى أدخلت عليها ، بسبب تعرضها لعوامل وضغوط سياسية وعسكرية مختلفة ، فضلا عما أحاط بها من أجواء التواطؤ التى بذلت قوى العدوان جهداً كبيراً لإخفائه [٢] .

ومن العوامل العسكرية التى أثَّرت على خطة الغزو ، ضرورة انتخاب منطقة الإبرار بما يتمشى مع ذريعة التدخل لحماية القناة ، ويخدم الأهداف السياسية ، ويتناسب مع الإمكانات العسكرية . ولهذا فإن منطقة الإسكندرية كانت بعيدة عن القناة بما لا يتفق مع ذريعة العدوان ، رغم أنها كانت الأسهل للوصول إلى القاهرة ، هدف الغزو النهائى . ولهذا فقد تحول التخطيط إلى بور سعيد ، حيث توجد قناة السويس التى زعم الإنذار الأنجلوفرنسى أنه سوف يعمل على تأمينها ، واستمرار الملاحة فيها لجميع سفن العالم .

الجنرال الفرنسى أندريه بوفر إلى اليمين والجنرال البريطانى هيو ستوكويل إلى اليسار
بينهما ماريشال الجو البريطانى دنيس بارنيت

وزاد من تعقيد الأمور ، إصرار السياسيين على إخفاء التواطؤ ؛ حتى لا يترتب على استخدام إسرائيل كمخلب قط ، دمغ حكومتى المملكة المتحدة وفرنسا بوصمة عار فى سجلات التاريخ .

وكان من أبرز العوامل العسكرية التى آثرت على رسم خطة الغزو الآتى :

١ - ضرورة خداع القيادة المصرية عن الاتجاه الحقيقى للغزو ، بجذب أنظارها إلى منطقة الإسكندرية عن طريق استمرار نشاط الفرقة ١٠ المدرَّعة البريطانية المتمركزة بإقليم برقه الليبى ، رغم أنها كانت قد استبعدت من قوات الغزو .

٢ - إظهار نشاط خداعى لأسطول الغزو على مشارف الإسكندرية ، مع نشاط آخر حول مدخل خليج السويس ؛ بهدف جذب الانتباه بعيداً عن الاتجاه الحقيقى ، وهو غزو بورسعيد .

وقد اقتربت بعض السفن حتى ١٨ ميلاً من الإسكندرية خلال ليلة ٣/ ٤ نوفمبر ، عندما قامت طائرات الكانبرا بقصف المدافع الساحلية بمنطقه العجمى ، خلال نفس الليلة .

٣ - نقص الموانى البحرية والقواعد والمطارات الجوية ، وبعدها عن ساحل الغزو بما استدعى سفرًا طويلاً ، استمر ستة أيام ، كان من الضرورى تغطيته بالتمهيد الجوى ؛ للتخلص مما تملكه مصر من طائرات ، وللمساعدة فى انهيار مقاومة الشعب .

٤ - سرعة احتلال منطقة رأس الشاطىء ببور سعيد ، رغم ضحالته وقلّة اتساعه ، علاوة على أن الخروج منه يتطلب التحرّك داخل مضيق يمتد جنوباً لمسافة ٤٠ كيلو متراً ، وصفه الجنرال كيتلى بأنه أشبه بالزجاجة ذات العنق الطويل الضيق ، الذى يتحتم الانحشار داخله ، قبل الوصول إلى الرحيق الموجود ببطن تلك الزجاجة[٣] .

الفكرة العامة :[٤]

بنيت خطه الغزو على الأسس التالية :

١ - توجيه ضربة جوية مركزة ومفاجئة لتدمير القوات الجوية المصرية ، وعناصر الدفاع الجوى ، بينما يستمر اقتراب الرحلة البحرية من ساحل الغزو .

٢ - متابعة الضربة الجوية بفترة قصف جوى طويلة لتدمير القوات البرية المصرية ؛ وخاصة المدرعات ، وكذا القوات البحرية فى قواعدها ، وشل اقتصاد مصر وتحطيم معنويات الشعب ، مع استخدام أساليب الحرب النفسية .

٣ - اقتحام رأس شاطىء بورسعيد لإنشاء رؤوس جسور مناسبة به ، توطئة لإبرار القوات الرئيسية اللاحقة .

٤ - انطلاق القوات الرئيسيه من رأس الشاطىء ؛ للوصول بأقصى سرعة ممكنة إلى الإسماعيلية وأبو صوير .

٥ - استكمال احتلال منطقة القناة حتى جنوب السويس ، ثم استغلال النجاح باحتلال القاهرة بحركة كماشة من اتجاهى الإسماعيلية والسويس .

مراحل الخطة :[٤]

انقسمت خطة الغزو إلى مرحلتين ، تضمَّنت كل منهما فترات متعدده كالآتى :

المرحلة التمهيدية :[٦]

وتستغرق ستة أيام بدءاً بيوم ٣١ أكتوبر حتى ٥ نوفمبر ، وتشمل الآتى :

(١) فترة التمهيد الجوى المركز بغرض تدمير القوات الجوية المصرية كأسبقية أولى ، ثم باقى القوات المسلحة كأسبقية ثانية .

(٢) فترة الحرب النفسية لتحطيم معنويات الشعب ، وقدرته على مواصلة الصمود .

ويتم تنفيذ الرحلة البحرية لقوات الغزو البحرى من قواعدها حتى شاطىء بور سعيد ، خلال تلك المرحلة .

المرحلة الرئيسية:[٧]

وتستغرق ستة أيام أيضا من يوم ٦ إلى ١١ نوفمبر ، وتشمل الآتى :

(١) فتره اقتحام رأس الشاطىء بمنطقة بور سعيد ، وتوسيعه باستخدام الاقتحام الجوى الرأسى ، الذى استخدم فى هذه العملية لأول مرَّة فى التاريخ ، ثم توسعت الولايات المتحدة فى استخدامه بعدئذ فى مسرح فيتنام .

(٢) فترة اندفاع القوات الرئيسية من شاطيء الغزو نحو الإسماعيلية وأبو صوير للاستيلاء عليهما ، ثم استئناف التقدم جنوباً إلى السويس .

(٣) فتره الاستيلاء على القاهرة من اتجاهى الإسماعيلية والسويس ؛ لإسقاط الحكم الوطنى القائم فيها ، وإعادة الهيمنة الإمبريالية إلى الشرق الأوسط .

توزيع المهام[٨]

اهتمّت خطة الغزو بتقسيم منطقة العمليات إلى قسمين شرق وغرب قناة السويس ، مع توزيع مهام القتال بين القوات البريطانية والفرنسية على النحو التالى :

القوات البريطانية . وتعمل أساساً غرب القناة كالآتى :

(١) الاشتراك فى عملية الاقتحام الجوى الرأسى ؛ لاحتلال منطقة مطار الجميل ، بالتعاون مع القوات الفرنسية .

(٢) اقتحام شاطىء بور سعيد واحتلال المدينة والميناء ، مع تأمين الضفة الغربية لقناة السويس حتى القنطرة .

(٣) التقدم جنوباً للاستيلاء على منطقة «أبو صوير» ، وسرعة إعداد المطار للاستخدام .

(٤) التقدم صوب القاهرة على محور الإسماعيلية لاحتلالها .

القوات الفرنسية . وتعمل أساساً شرق القناه كالآتى :

(١) اقتحام شاطىء بور فؤاد واحتلال المدينة لتأمين الضفة الشرقية للقناة .

(٢) التقدم جنوباً نحو السويس لاحتلال وتأمين مدخل السويس من جهة الجنوب .

(٤) التقدم صوب القاهرة على محور السويس للمساعدة فى احتلالها .

قوات الغزو [٩]

القوات البريطانية :

(١) القوات البرية - الفرقة الثالثة المشاه ، ومجموعة اللواء ١٦ المظلات ، والألاى السادس المدرَّع ، واللواء الثالث مشاه الأسطول (الفدائيين البحريين)

(٢) القوات البحرية - ٥ حاملات طائرات و ٥ طرادات ، و ١٢ مدمرة ، و٧ فرقاطات ، و١٤ كاسحة الغام ، و١١ سفينة نقل جند ، و١١ سفينة انزال دبابات ، وعدة سفن أخرى مساعدة .

(٣) القوات الجوية -١٨ سرب قاذفات (كانبرا وفاليانت) ، وسرب مقاتلات (هنتر وفينوم ومتيور) ، و١٣ سرب مقاتلات قاذفة (سى هوك ، وسى فينوم ، وإيفرن) ، و ٣,٥ سرب استطلاع ، و سرب نقل ، و٢ سرب حوّامات .

القوات الفرنسية :

(١) القوات البرية - الفرقة العاشرة المنقولة جواً ، والفرقة السابعة الميكانيكية ، والفرقة الثانية الأجنبية !!

(٢) القوات البحرية - ٢ حاملة طائرات ، وبارجة واحدة ، وثلاثة طرادات ، وأربع مدمرات ، وثمان فرقاطات ، وثمان سفن نقل جند ، وعدة قوارب إنزال .

(٣) القوات الجوية - تسعة أسراب مقاتلات طراز ف - ٨٤ ومستير ٤ أ ، وثلاثة أسراب مقاتلات قاذفه كورسير وآفنجر ، وثلاثة أسراب استطلاع ، وتسعة أسراب نقل .

أسماء القادة ونوابهم :

الجنرال السير تشارلز كيتلى	القائد العام لقوات الغزو المتحالفة
الأدميرال بيير بارجو	نائب القائد العام
اللفتنانت جنرال السير هيوستوكويل	القائد العام للقوات البرية
اللفتنانت جنرال اندريه بوفر	نائب القائد العام
إيرمارشال دينيس بارنيت	القائد العام للقوات الجوية
الجنرال ر . هـ . بروهان	نائب القائد العام
الأدميرال روبين دورنفورت سلاتر	القائد العام للقوات البحرية
الأدميرال ب . ج لانسلوت	نائب القائد العام
الماجور جنرال ج . تشيرتشر	قائد الفرقة ٣ المشاه
البريجادير ميرفن بتلر	قائد اللواء ١٦ المظلى
البريجادير ر - مادوك	قائد اللواء ٣ الفدائيين البحريين الملكى
الجنرال جاك ماسو	قائد فرقة المظليين العاشرة
الكولونيل بيير شاتو - جوبير	قائد الكتيبة ١ من الفرقة الأجنبية
الكومودور ر - بروك	قائد قوّة الاقتحام
الكابتن ج . هاملتون	قائد القوة البحرية بالبحر الأحمر

التشكيل للمعركة[١٠]

تشكّلت القوات سالفة الذكر فى قوة اقتحام رأس الشاطيء ، والقوات اللاحقة ، والاحتياطى العام على النحو التالى :

١ - قوة اقتحام رأس الشاطيء وتضمّنت ، من القوات البريطانية ، مجموعة اللواء ١٦ المظلى ، واللواء الثالث فدائيين بحرين ، والألاى السادس المدّرع (دبابات سنتوريان) ، ومن القوات الفرنسية الفرقة ١٠ المنقولة جواً عدا الآى ، وثلاث كتائب فدائيين بحرين من الفرقة الأجنبية .

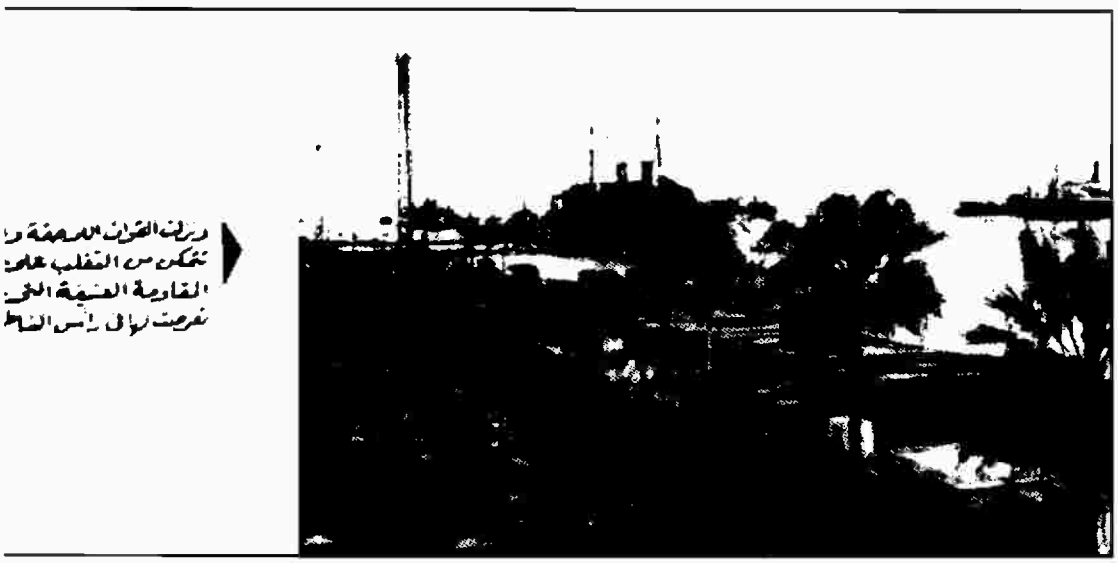

وبرغم القوات الضخمة و
تحكم من التغلب على
المقاومة العنيفة التى
تعرضت لها فى رأس الشاط

٢ - القوات اللاحقة (النسق الثانى) . وتضمنت ، من القوات البريطانية ، مجموعة اللواء ٥٠ المشاه المستقل ، ومجموعة اللواء ٥١ المشاه المستقل ، وكليهما من الفرقة ٣ المشاه ، ومن القوات الفرنسية الفرقة ٧ الميكانيكية ، والفرقة الثانية الأجنبية عدا ثلاث كتائب فدائيين بحرين .

٣ - الاحتياط العام : وتتضمّن كتيبة مشاة من الفرقه ٣ البريطانية ، وألاى من الفرقة ١٠ الفرنسية .

مهام القتال [١١]

توزعت مهام القتال على قوات الغزو البحرى الأنجلوفرنسى ؛ طبقاً لمراحل القتال سالفة الذكر ، على النحو التالى :

القوات البرية :

(١) إنشاء رأس شاطيء فى منطقتى بورسعيد وبور فؤاد بالاقتحام الجوى الرأسى والإبرار البحرى ، على مواجهة ١٠ كيلومترات ، ثم توسعته بالقوات اللاحقة حتى عمق ٣٠ كيلو متراً، وإلى بلدة القنطره جنوبًا كمهمة مباشرة للقوات البرِّية.

(٢) الاندفاع جنوباً بتطوير الهجوم حتى الإسماعيليه للاستيلاء على المدينة وقرية « أبو صوير » ومطارها كمهمة أساسية للقوات البرية .

(٣) استغلال النجاح صوب الجنوب ، والاستيلاء على ميناء ومدينة السويس ، وفرض السيطرة الكاملة على قناة السويس من الضفتين .

(٤) الاستيلاء على القاهرة بهجوم ذى شعبتين من اتجاهى الإسماعيلية والسويس ، كمهمة نهائية للقوات البرية .

القوات الجوية :

(١) استطلاع مسرح الحرب ، مع تركيز المجهود الرئيسى فوق منطقة رأس الشاطىء ببور سعيد ، وعلى امتداد قناة السويس .

(٢) انتزاع السيطرة الجوية فوق منطقة العمليات بتدمير الغطاء الجوى المصرى ؛ توطئة لفرض السيادة الجوية المطلقة على سماء المسرح .

(٣) التمهيد الجوى لمرحلة الاقتحام الجوى، والإبرار الجوى فى رأس الشاطيء وتأمينه .

(٤) عزل ميدان المعركة فى منطقة القناة ومنع التحركات داخلها وخارجها ، مع استمرار تقديم المعاونة الجوية لقوات الغزو البحرى .

(٥) حماية سماء إسرائيل ، وتوفير مساعدات النقل والإمداد الجوى لقواتها المحاربة فى شبه جزيرة سيناء .

(٦) توفير مجهود نقل جوى لعمليات اقتحام جوى ، بإسقاط ونقل المطالب الإدارية ، وإخلاء الخسائر والأعطال جواً ؛ خاصة للحالات الحرجة .

القوات البحرية :

(١) الحصول على السيطرة البحرية فى جنوب شرق البحر المتوسط ، وشمال البحر الأحمر ، وفرض الحصار البحرى على جميع الموانى المصرية الواقعة عليهما .

(٢) حراسة قوافل سفن الغزو البحرى ، أثناء الرحلة البحرية من جزيرتى مالطة وقبرص إلى شاطيء الغزو ببور سعيد .

(٣) التمهيد البحرى بنيران مدفعية الأسطول فى مرحلة الاقتحام البحرى والإبرار البحرى بمنطقة رأس الشاطيء ببور سعيد وبور فؤاد .

(٤) تقديم المعاونة التكتيكية بالنيران من مدافع الأسطو ،ل التى لا تزيد عن عيار ٤,٥ بوصة .

(٥) توفير مجهود النقل والإمداد البحرى لقوات الغزو .

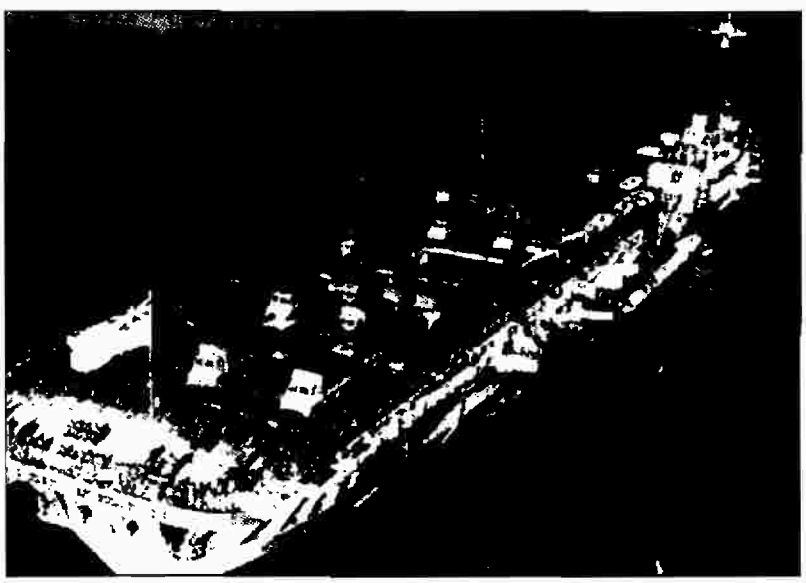

« ثم تدفقت المعدات والأسلحة الثقيلة لدعم قوات الاقتحام . . »

سفر طويل

الرحلة البحرية :[١٢]

للقوات القادمة من الجزائر :

تقلع السفن من موانى الجزائر ليلة ٢٨/٢٧ أكتوبر ؛ لتصل إلى نقطة التجمع أمام شاطيء الغزو ليلة ٦/٥ نوفمبر ، فتتم الرحلة بذلك فى ١٠ أيام .

للقوات القادمة من جزيرة مالطا :

تقلع السفن من موانى جزيرة مالطا ليلة ٣١/٣٠ اكتوبر ؛ لتصل إلى نقطة التجمع أمام شاطيء الغزو ليلة ٦/٥ نوفمبر ، فتتم الرحلة بذلك فى ستة ايام .

للقوات القادمة من جزيرة قبرص :

تقلع السفن من موانى جزيرة قبرص ليلة ٤/٣ نوفمبر ؛ لتصل إلى نقطة التجمع أمام شاطيء الغزو ليلة ٦/٥ نوفمبر ، فتتم الرحلة بذلك فى يومين .

اقتحام رأس الشاطيء وتأمينه لمدة ٢٤ ساعة :

تقوم قوات الاقتحام الرأسى وقوات المظليين والفدائيين البحريين بالاستيلاء على رأس الشاطيء فجر يوم ٦ نوفمبر ، وتستمر فى التمسّك به وتأمينه ٢٤ ساعة ، لحين وصول قوات الغزو البحرى الرئيسية (القوات اللاحقة) فجر يوم ٧ نوفمبر ١٩٥٦ .

اتمام المهمة الأساسية للقوات البرية بالاستيلاء على المنطقه الممتدة من بور سعيد حتى الإسماعيلية و « أبو صوير » فيما بين يومى ٩/٧ نوفمبر ١٩٥٦ .

استغلال النجاح صوب الجنوب ، والاستيلاء على ميناء ومدينة السويس ؛ لفرض السيطرة الكاملة على قناة السويس من الضفتين قبل أول ضوء ١٢ نوفمبر .

الاستعداد للاندفاع نحو القاهرة ؛ للاستيلاء عليها طبقا لتطورات الموقف السياسى والعسكرى وقتها .

التمهيد الجوى المركز[١٣]

يبدأ التمهيد الجوى المركّز لعملية الغزو يوم ٣١ أكتوبر ، وينتهى يوم ٥ نوفمبر ، وينقسم إلى ثلاث مراحل كالآتى :

١ - مرحلة تدمير القوات الجوية المصرية والدفاع الجوى ، وتستغرق ٤٨ ساعة فيما بين صباح ٣١ أكتوبر وصباح ٢ نوفمبر .

٢ - مرحلة ضرب الأهداف الحيوية العسكرية والمدنية ، وتستغرق ٤٨ ساعة أيضاً فيما بين صباح ٢ نوفمبر وصباح ٤ نوفمبر ؛ لتدمير القوات المسلحة ومناطق الحشد والأرتال المتحركة على الطريق والمعسكرات ، والمكدسات العسكرية ، وأماكن الإيواء ، وتدمير الأهداف المدنية مثل عقد المواصلات البرية ، ومراكز الإرسال اللاسلكى ، وتحطيم معنويات الشعب المصرى .

٣ - المرحلة الثالثة ، وتشمل التمهيد الجوى ضد منطقة رأس الشاطىء فى بور سعيد وبور فؤاد ، وتستغرق ٤٨ ساعة أيضاً فيما بين صباح ٤ نوفمبر ، وصباح ٦ نوفمبر ؛ لتدمير كافة الأهداف العسكرية بالمنطقة ، وإرهاب أهالى بور سعيد ، وضرب الأرتال العسكرية والطرق المؤدية إلى شاطىء الغزو ، وعزل ميدان المعركة عن باقى أرجاء الدولة .

التعديلات الأخيرة (١٤)

ذكرنا آنفا فى الفصل التاسع أن الأمور السياسية اختلطت بأمور الحرب ، قبيل وأثناء الغزو البحرى الأنجلوفرنسى لمصر ، وأن عامل الوقت استدعى إدخال كثير من التعديلات على خطة الغزو الاصلية التى كانت تدعى موسكتير ، فصارت موسكتير المعدلة ، ثم موسكتير المعدلة النهائية ، ثم « أومليت » ، فتلسكوب ، التى أعدها الجنرال الفرنسى أندريه بوفر ، وكان من العوامل الاخرى التى استدعت تلك التعديلات المتتالية ما يلى :

١ - الصراع الحاد بين القادة البريطانيين والفرنسيين ، الذين دأبوا على الإلحاح على سرعة بدء الغزو ؛ خاصة بعد توحيد الجبهة المصرية بقرار القيادة العامة ، الذى صدر ليلة ٣١ اكتوبر ، وما ترتب عليه من ضرورة العمل السريع لقطع خط الرجعة على قوات سيناء ، قبل أن تفلت من الفخ الذى نصب لها داخل أعماق سيناء ، وتنجح فى تقوية الدفاعات فى شاطىء الغزو ، وعلى امتداد قناة السويس ، مما سوف يزيد من الخسائر الأنجلوفرنسية ويطيل أمد القتال .

٢ - ضعف الثقة بين الجانبين المتحالفين ، واعتقاد كل منهما أن الآخر يحاول خديعته وسبقه ليفوز بالنصيب الأكبر من المغانم . وقد ظل هذا الاعتقاد يتفاقم امره حتى عمد الجانب الفرنسى إلى التواطؤ مع الإسرائيليين ؛ لتنفيذ خطة الزى التى سبق التنويه عنها ، خفية عن الحليف البريطانى .

٣ - الحرص على الحصول على موطىء قدم فى منطقة قناة السويس ، قبل أن يصدر إجراء دولى ، يجبر قوات العدوان على وقفه .

ولما بلغ الشجار مداه بين القادة الفرنسيين والبريطانيين ، عقد الجنرال كيتلى مؤتمراً مشتركاً فى الساعة الحادية عشرة مساء ٣ نوفمبر ، حضره عدد كبير من الطرفين ؛ حيث تقدم الفرنسيون بمقترحاتهم لتعديل خطة الغزو وتقديم موعدها ، وعارضهم الجنرال ستوكويل باقتراح مضاد ، ثم انفض المؤتمر فى الساعة الثانية عشرة والنصف ، دون أن يُتفق على رأى واحد .

وأحست حكومة المملكة المتحدة بما يحدث بمقر القائد العام فى ابيسكوبى بقبرص ، كما علمت بالتواطؤ الجارى بين الفرنسيين والإسرائيليين (خطة الزى) ، فأرسلت أنتونى هيد وزير الحربية إلى قبرص ليجتمع بالقادة ، ويصل إلى حل للمشكلة . وبمجرد وصول هيد ، اجتمع بكيتلى والقادة الأنجلوفرنسيين بعد منتصف ليلة ٣/ ٤ نوفمبر ؛ حيث توصلوا فى نهاية الاجتماع إلى خطة نهائية ، أطلقوا عليها الاسم " تلسكوب " ، تلخصت فى الآتى :

١ - احتلال المحيط الخارجى لرأس شاطىء بور سعيد ، باقتحام جوى رأسى فى الساعة السابعة والربع من فجر يوم ٥ نوفمبر ، فتحتل كتيبة مظلات بريطانية منطقة ومطار الجميل على مسافة ١٠ كيلو مترات غرب بور سعيد ، كما يستولى الآى مظلات فرنسى عدا سريتين على منطقة الرسوة جنوب بور سعيد ، بعد الإسقاط البريطانى على الجميل بمدة ١٥ دقيقه؛ أى فى السابعة والنصف صباحاً .

٢ - يحتل باقى الآى المظلات الفرنسى مدينة بورفؤاد ، الساعة الثالثة والربع ، بعد ظهر ٥ نوفمبر .

٣ - يبدأ الغزو البحرى الأنجلوفرنسى باقتحام شاطئ بورسعيد ، الساعة السادسة والربع صباح يوم ٦ نوفمبر؛ طبقاً للخطة الأصلية "موسكتير المعدلة النهائية " .

٤ - تستمر القوات الجوية فى تدمير دفاعات بورسعيد والأرتال المتحركة إليها أو خارجة منها ، مع القضاء على أوكار المقاومة بالمدينة وضواحيها ·

خطة الدفاع عن بورسعيد[١٥]

مقدمة :

كانت القوات الموجودة ببورسعيد - عندما صدر الإنذار الأنجلوفرنسى يوم ٣٠ أكتوبر - عبارة عن سرية مشاه من الكتيبة الرابعة المشاه ، وكتيبتين من جيش التحرير الوطنى ، وبطاريتى مدفعيه ساحلية ، وبطارية ثقيلة مضادة للطائرات ، وتروب خفيف مضاد للطائرات ، بإجمالى لايزيد على ألف فرد من مختلف الأسلحة والإدارات .

وفى يوم ١ نوفمبر ، كان اللواء ٩٧ المشاه الاحتياطى مكلفاً بحراسة مطار غرب القاهرة ؛ حين صدرت إليه الأوامر بالتحرك - عدا كتيبة - إلى بور سعيد ليتولى الدفاع عنها .

ووصل اللواء يوم ٣ نوفمبر ، بعد تحرك طويل تحت الضرب الجوى العنيف أحدث به خسائر كبيرة . ورغم أن القوات التى وجدها العقيد عبد الرحيم قدرى قائد هذا اللواء فى بور سعيد ؛ لم تكن تكفى للتصدى لغزو بحرى ، جاء بأسلحته وطائراته وجنوده فى عمارة بحرية كبيرة لإعادة احتلال مصر ، فإنه انكب على الاستعداد للمعركة غير المتكافئة بكل جدية ، وشرع فى رسم خطة الدفاع ، وتخصيص المهام للقوات المتيسرة على قدر ما سمحت به الموارد . وكان النقص شديداً فى المعدات الهندسية ؛ لزرع حقول الألغام ، والموانع داخل الماء ، وعلى الساحل الذى ترك تقريباً بغير تجهيزات هندسية أو موانع صناعية .

خطة اللواء ٩٧ المشاة الإحتياطى

قام العقيد اركان الحرب عبد الرحيم قدرى قائد اللواء باستطلاع المنطقة ودراسة الأرض ومحاور الاقتراب المحتملة ، قبل أن يضع خطة الدفاع عنها بتقسيمها إلى ثلاثة قطاعات رئيسية فى بور فؤاد قطاع اليمين ، وبور سعيد - قطاع اليسار ، والرسوة - القطاع الخلفى ·

قطاع بور فؤاد

تقوم الكتيبة ٢٧٥ المشاه الاحتياطى (عدا سرية) ، وسرية من جيش التحرير الوطنى ، وبطارية المدفعية الساحلية بالدفاع عن قطاع بور فؤاد ، بمواجهة ٣ كيلو مترات ومقاومة الإبرار الجوى أو البحرى وتدميره ، مع تركيز المجهود الرئيسى للدفاع فى منطقة ورش هيئة القناة ومحطة الرادار .

قطاع بور سعيد

تقوم الكتيبة ٢٩١ المشاة الاحتياطى ، وسرية من الكتيبة ٢٧٥ المشاه الاحتياطى ، وكتيبة من جيش التحرير الوطنى ، وبطارية المدفعية الساحلية ، وتروب مدفعية مضادة للدبابات ذاتى الحركة عيار ١٠٠ ملليمتر ، بالدفاع عن قطاع بورسعيد من مطار الجميل الواقع غرب المدينة بنحو ١٠ كيلومترات حتى الميناء (داخل) ، ومقاومة الإبرار الجوى أو البحرى وتدميره ، مع تركيز المجهود الرئيسى للدفاع عن منطقة الجميل – الجبانات ، وتجهيز كوبرى الجميل للنسف .

قطاع الرسوة :

تقوم سرية من جيش التحرير بتأمين مدخل بورسعيد من الجنوب ، وكوبرى الرسوة للسكة الحديد ، وكوبرى الرسوة العائم ، مع تجهيز الكوبرى العائم للنسف .

وبوصول الكتيبة ٤ المشاه إلى بورسعيد يوم ٣ نوفمبر عائدة من سيناء ، وضعت تحت قيادة اللواء ٩٧ المشاه الاحتياطى ، وأوكلت إليها المهام التالية :

١ – احتلال منطقة الجبانات ، على الطرف الغربى للمدينة بسرية مشاه فى موقع دفاعى .

٢ – احتلال تقاطع الطرق شرق الجبانات ، والمؤدى إلى قلب المدينة مباشرة بسرية مشاه ثانية فى موقع دفاعى .

٣ – احتلال موقع دفاعى ثالث بسرية مشاه جنوب معسكر الجولف ، وشمال كوبرى السكة الحديد ، ويوضع الموقع تحت قيادة قائد قطاع الرسوة سالف الذكر .

٤ - تبقى سرية المشاه الرابعة فى الاحتياطى العام ، حـول نادى الشرطة القريب من نادى الجولف ، وهى على استعداد لتنفيذ المـهام التى تصدر إليها طبقاً لتطور القتال .

وكانت الكتـيبة الرابعة قد اصطدمـت بقوات الألوف مشنيه أورى بـن آرى المدرعة على المحور الأوسط فى سيناء عصر يوم ٢ نوفمبر ؛ حيث قامت بستر انسحاب مجموعة اللواء ٣ المشاه ، وتكبَّدت خسـائر كبيرة أثَّرت على كفاءتهـا القتالية ، عندما وصلـت منهكة تمامًا ؛ لتنضم إلى القـوات المدافعة عن بورسعيد وقد فقدت معـظم حملتها وأسلحتها الـثقيلة وثلث أفرادها .

ولم يكن اللواء ٩٧ المـشاة الاحتياطى بأوفر حظاً منـها ، فبعد استدعائه وتلـقيه مرحلة تدريب انـفرادى مختـصرة على الأسلـحة الصغـيرة ، دفع به إلى أهـم مناطق الـدفاع عن الجمهورية ، وهـو غير مدرب على خوض معركة حـديثة للأسلحة المشتـركة ، ولا خبرة له على الإطلاق بـالقتال فى المدن والمناطـق المبنية ، بل كانت كـل خبرته تقتصر عـلى أعمال الحراسة فى قاعدة غرب القاهرة الجوية ، الأمر الذى يجـعل تكليفه بالدفاع عن شاطئ الغزو ببورسعيد مـحل دهشة شديدة ، فرغم ما كان يـعانيه من نقص كبير فـى الأسلحة المضادة للدبابات والمضادة للطائرات ، فقد كانت كتائـبه ينقصها نصف المرتب من الأفراد ، وكفاءته القتالية ضعيفة للغاية .

مهام ضخمة وقوات ضئيلة :

وتجدر ملاحظة أنه عندمـا بدأ القتال فى بورسعيد ، كانت القوات المـتيسرة للأميرالاى الموجى لاتتناسب إطلاقاً مع ضخامة المهام المـطلوب إنجازها . وفضلاً عن ضآلة الحجم « فقد كانت غير مدربة على القتال فى المدن . كمـا أنها جاءت من أماكن بعيدة وتعرضت لضرب جوى شديد ، ووصلت بورسعيد قبل أن يبدأ القـتال بمده وجيزة ، لم تتح لها التعرف على المدينة أو إحكام خطط الدفاع عنها ، الأمر الذى جعل بعض القوات البريطانية التى رحلـت عـن المدينـة منـذ أشهر قليلة ، أكثـر معرفة بها من الوات المصرية التى تدافـع عنهـا .

وفـى فجر يوم ٤ نوفمبر ، كانت قوات الدفـاع عن بورسعيد ، تتكون مـن العناصر التالية :[١٦]

١ - الكتيبة ٤ المشاه بقيادة البكباشى سعدى نجيب على ، التى وصلت من بير روض سالم الليلة الماضية ، وقد تعرَّضت لقصف جوى شديد أثناء هذا التحرك ، أوقع بها خسائر كثيره ، وأنهك جنودها الذين لم يحصلوا على أى قسط من الراحة منذ أيام كثيرة مضت ، على نحو ما سبق ذكره .

٢ - اللواء ٩٧ المشاة الاحتياطى قيادة القائمقام أركان الحرب عبد الرحيم قدرى . وقد وصلت بورسعيد عصر يوم ٣ نوفمبر فى حافلات أبو رجيلة قادمة من القاهرة ، وقد تعرّض داخل مضيق القنطرة-بورسعيد لضرب جوى مركز ، أوقع به خسائر شديدة ، وكان هذا اللواء يتكون من الكتيبة ٢٧٥ احتياط عدا سريتين بقيادة البكباشى حسين توفيق اسماعيل ، والكتيبه ٢٩١ احتياط بقيادة البكباشى صالح صالح صالح ، وقد تمركزت الكتيبة ٢٧٥ ببورفؤاد بواجب الدفاع عنها ، بينما تمركزت الكتيبة ٢٩١ بمطار الجميل ومنطقة الكباين وسبانى شركة القناة .

٣ - وكانت هناك أيضاً ٣ كتائب حرس وطنى بمطار الجميل ، وبطارية مدافع صاروخية بمنطقة المناخ ، والبطارية ٩ مدفعية ساحلية ببورفؤاد من ٢ مدفع ٦ بوصة ، والبطارية ١١ مدفعيه ساحلية على حاجز الأمواج برصيف دى دلسبس من ٢ مدفع ٦ أرطال ، و٢ مدفع عيار ٣,٧ بوصة مضاد للطائرات ومضاد للسفن فى ميناء الصيد ببورسعيد .

٤ - وبصورة إجمالية ، كانت أغلب القوات سالفة الذكر غير مدربة على القتال فى المدن أو مواجهة غزو بحرى من دولتين كبريين . كما كانت تفتقر إلى الأسلحة والمعدات الميدانية والأدوات الهندسية لإقامة الموانع على الساحل المعرض للغزو ، وما يلزمها من تحصينات وحقول ألغام بحرية وبرية .

ويثير هذا الاستعداد الضعيف الذى تم فى اللحظات الأخيرة الدهشه من موقف القيادة الشرقية والقيادة العامة ، اللتين لم تزودا منطقة بورسعيد بقوة ، تستطيع إبداء مقاومة حقيقية فى مواجهة قوات غزو ، تتمتع بالتفوق الجوى والبحرى والعددى والنوعى ، فتكتفيان بدفع تلك القوات القليلة للدفاع عن ساحل الغزو ، وفى آخر لحظة قبل نزول القوات الأنجلوفرنسية فيه !

وكان لوجود الأهالى المدنيين من الأطفال والعجائز ، وعدم ترحيلهم مبكرا عن المدينة أثره البالغ على عمل القوات المدافعة عنها ؛ إذ عقد الموقف وزاد من أعباء الإعاشة والخدمات الطبية ؛ خاصة عندما بدأت السفن الحربية ، والطائرات فى ضرب المدينة بالقنابل والصواريخ .

وخلال نهار الأحد ٤ نوفمبر ، دفعت القيادة الشرقية ببعض التعزيزات التى شعرت أن المدينة فى أشد الحاجة إليها ، إلا أنها كانت مجرد قطرة فى محيط ، فلم تزد عن تروب مضاد للدبابات ذاتى الحركة ، وتروب مدفعية صاروخية ، وتروب خفيف مضاد للطائرات ، وقوة من الفدائيين دخلت المدينة ليلاً ، وقامت فيما تلى من أيام بأعمال كثيرة اتصفت بالشجاعة والإقدام .

قتال قصير :

اول اقتحام راسى فى التاريخ [١٧]

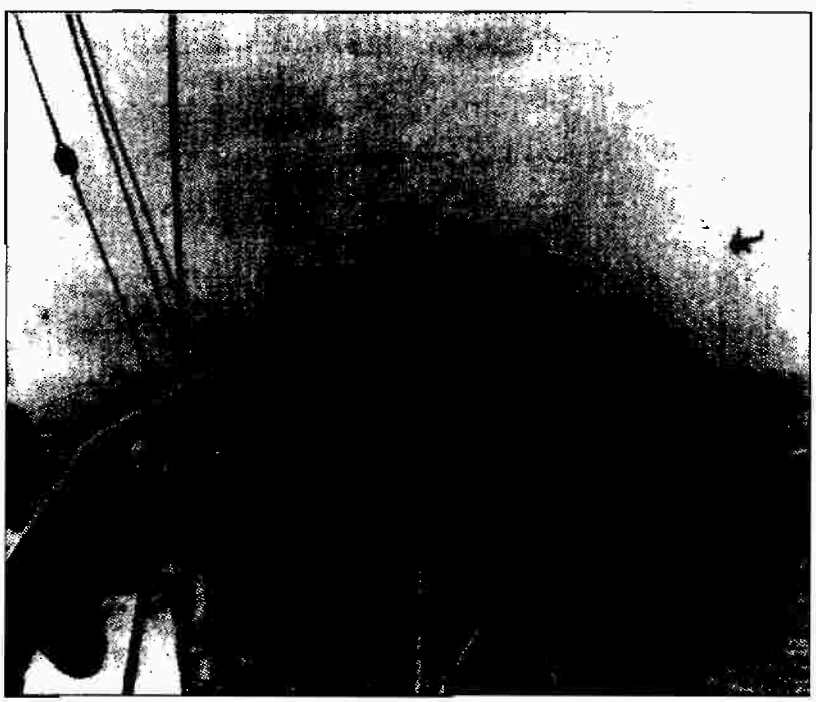

الحوامات البريطانية تقترب من ساحل بورسعيد بينما الأسطول الأنجلوفرنسى يقصف المدينة بنيرانه

كان قدر بورسعيد أن تكون أرض المعركة لأول اقتحام جوى فى التاريخ عندما انقضت الحوامات البريطانية صباح يوم ٥ نوفمبر على خزانات المياه الرئيسية جنوب المدينة ، وكبارى الرسوة القريبة منها لتحتلها ، بينما كانت الموجات الأولى من طائرات النقل التى أقلعت بنحو ٦٠٠ جندى بريطانى من نيقوسيا ، و٥٠٠ فرنسى من تايمبو تطير فوق السفن التى غادرت ليماسول فى طريقها إلى شاطئ الغزو ، تحمل على ظهرها الجنرال ستوكويل وكتائب المظليين ، المكلفين بمهام النسق الثانى .

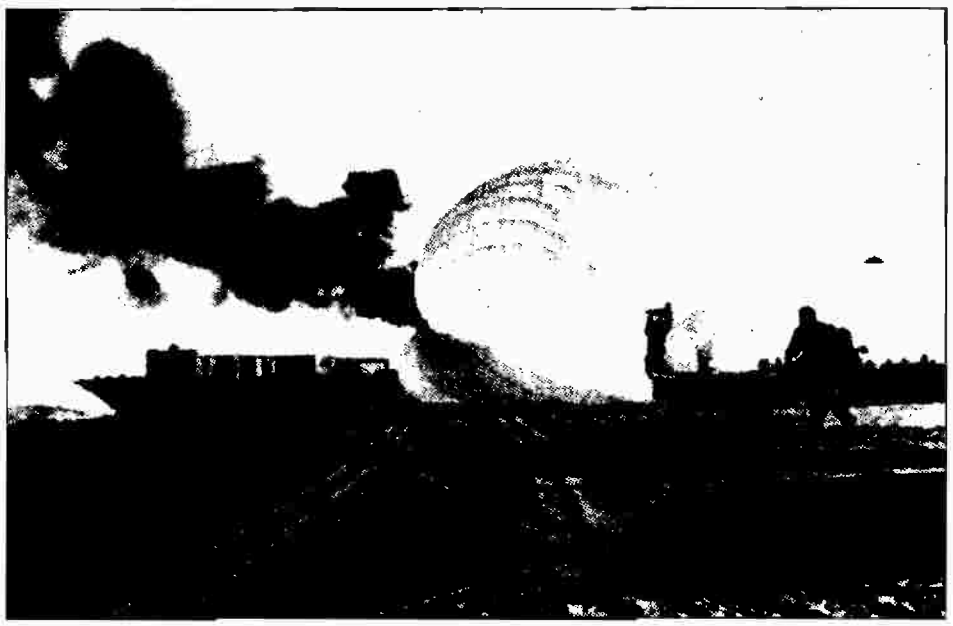

المظليون البريطانيون ينزلون من الجو فى مطار الجميل فى الساعات الأولى من صباح ٥ نوفمبر ١٩٥٦

وبعد أن ألقت الطائرات المكلفة بتحديد مواقع الإبرار الجوى بمشاعلها ذات الألوان المختلفة للتعارف على الأهداف المحددة ، انحرفت الطائرات البريطانية نحو الغرب ، وبمجرد أن ظهر الضوء الأخضر بجوار باب الخروج ، قفز المظليون الستمائة ليهبطوا فى مطار الجميل نحو الساعة الثامنة والثالث ، بينما كانت الطائرات الفرنسية التى انحرفت ناحية الشرق تلقى بالخمسمائة مظلى جنوب كبارى الرسوة .

وكان الفرنسيون من جنود المظلات أكثر كفاءة من البريطانيين ، بفضل تدريباتهم الطويلة السابقة ، ومرونة اسلحتهم وأساليبهم ، فضلاً عن أن طائرات النورد أطلس التى

قفزوا منها ذات بابين ، يوفران للجماعات القافزة نصف الوقت ، الذى يتطلبه القفز من الطائرات البريطانية ، ذات الباب الواحد .

كما تميز المظليون الفرنسيون بصفة أخرى هى الوحشية التى تحدث عنها المظلى بيرلالويت فى كتابه " القديس ميخائيل والتنين " ، فساق حادثة النقيب المظلى الفرنسى الذى أمر ضابطاً مصرياً أسيراً أن يكنس الأرض ، فلما رفض بأباء وشمم ، أفرغ فى جسده طلقات مدفعه الرشاش ، وهو يبتسم ضاحكاً ، ثم أمر جنوده برعة دفنه ، كما ساق لالويت قصصاً أشد فظاعة ، شاهدها رأى العين .

ووصف لالويت أيضاً كيف هب المدافعون المصريون من خنادقهم ؛ ليقاتلوا المظليين الذين ظنوا أنهم يهبطون عليهم من السماء ، بينما كانوا فى حقيقتهم شواخص هيكلية ومستودعات معدنية تحتوى ذخيرة الهاونات ومدافع الماكينة . ولما كانت الشمس فى أعين هؤلاء المدافعين الشجعان فقد ظنوا أنها جنود حقيقيين ، إلا أن خروجهم من الخنادق بمنطقة الرسوة جعلهم صيداً سهلاً فى العراء ، فاستشهدوا إلا عدداً قليلاً .

القتال فى الجميل[١٨]

كان بمطار الجميل ساعة أن نزل عليه المظليون البريطانيون صباح ٥ نوفمبر ، سرية من جنود الاحتياط كانت قد أعيد تشكيلها يوم ١ نوفمبر من سريتين تعرضتا لقصف جوى فتك بهما ، وهما يتقدمان داخل عنق الزجاجة إلى بورسعيد . كما كانت هناك أيضاً كتيبة من الحرس الوطنى ستواضعة الكفاءة القتالية ، وأربع دشم خرسانية فى أركان المطار ، تضم كل واحدة منها وكر مدفع رشاش .

وكان المدافعون قد نثروا على أرض المطار عدداً كبيراً من البراميل الفارغة لمنع طائرات العدو من الهبوط فيه ، إلا أن تلك البراميل نفسها وفرت سواتر جيدة للمظليين البريطانيين ؛ ليختبئوا خلفها ، ويتخذوا منها مساند لإحكام ضرب النيران .

وراح البريجادير بتلر والمقدم بول كروك قائد كتيبة المظليين ، يستحثان الجنود الذين هبطوا معهما على سرعة السيطرة على المطار ، بينما البريجادير جنرال جين جايلز قائد المظليين الفرنسيين يراقب القتال الجوى من حوامته، التى كان يحلق بها مطمئناً فوق المدينة ، بعد أن تحققت للمهاجمين السيادة الجوية بتدمير الغطاء الجوى المصرى منذ عدة أيام .

وعندما حلت الساعة التاسعة صباحاً ، كان البريطانيون قد استولوا على مطار الجميل ، كما احتل الفرنسيين كبارى الرسوة، ومستودعات المياه المجاورة ، وقطعوا المياه عن المدينة ·

وكتب الجنرال كيتلى فى يومية الحرب يصف المقاومة المصرية ، صباح ذلك اليوم بالشدة ، وخاصة مدافع الاقتحام الأربعة ذاتية الحركة طراز إس - يو - ١٠٠ ، التى سببت لجنوده كثيرًا من المشاكل ، كما ذكر أنها أتقنت الانتقال من مربض نيران إلى الآخر ، بما دفع بعض ضباطه إلى الظن بأن القوة المدافعة تملك ٣٠ أو ٤٠ مدفعاً ، وليس مجرد أربعة[١٩] .

وفى مدينة بورفؤاد[٢٠]

قفزت كتيبة من المظليين الفرنسيين بقيادة الكولونيل فوسى فرانسوا فى منطقة الجلاء جنوب بورفؤاد - والمقابلة لمنطقة الرسوة - وذلك فى الثالثة والربع من بعد الظهر ؛ حيث قابلتها مقاومة عنيفة للغاية ، قبل أن ينجح الفرنسيون فى الاستيلاء على المدينة خلال ساعات الليل ، وفى ذلك الوقت كانت الطائرات البريطانية تحمل ١٠٠ آخرين من المظليين ؛ لتعزيز مطار الجميل ، وتزويده بالذخائر والمطالب الإدارية الأخرى ·

وكانت القوات المدافعة عن بورفؤاد قد خفّضت إلى حد كبير ، بعد سحب جزء منها ، للقيام بالهجوم المضاد فى منطقة الرسوة · وقد ظلّت قوات بورفؤاد - وعلى رأسها قائد الكتيبة ٢٧٥ الاحتياط - تتشبّث بمواقعها بعناد حتى استشهد قائدها البكباشى حسين توفيق إسماعيل ومعظم أفرادها ، بعد ان ابلى جميعهم بلاءً حسنا ، وصمدوا فى مواقعهم بكل شجاعة وتصميم ·

حرائق بلا نقطة ماء :[٢١]

كان العميد أركان الحرب صلاح الدين صادق الموجى ، رئيس أركان القيادة الشرقية ، قد تطوّع مساء٤ نوفمبر بتفقّد وتنظيم دفاعات بورسعيد ، عندما لم يجد اللواء علىِ على عامر قائد القيادة الشرقية ضابطاً كبيراً آخر ليتولى المهمة · وبادر بالذهاب إلى المدينة التى وصلها ؛ مساءً ليبدأ المرور على دفاعاتها ، ويعدل من أوضاعها نظراً لكفاءته القتالية العالية ، ولأنه كان على دراية تامة بأساليب القادة البريطانيين فى القتال ، لملازمته إياهم نحو خمس سنوات فى دراسات عليا بالكليات البريطانية والمناورات الميدانية ·

وعندما بدأت الغارات الجوية فجر ٥ نوفمبر ؛ توطئة للاقتحام الجوى الرأسى الأنجلوفرنسى ، ظل الموجى يدير المعركة بأعصاب ثابتة حتى العصر عندما بلغت الشدّة بالأهالى منتهاها لقطع الكولونيل بيير شاتوجوبير المياه عن المدينة ، كما كانت ألسنة الحرائق تتصاعد فى كل مكان ، وجثث القتلى قد بدأت تتحلل فى الطرقات بما ينذر بانتشار الأوبئة .

المظليون الفرنسيون فى طريقهم إلى احتلال محطة المياه حيث قام الكولونيل شاتو جوبير بعدها بقطع المياه عن بورسعيد

وأفضى المحافظ محمود رياض بأشجانه للموجى ، مؤكدا له أن أهالى بورسعيد صاروا هم الذين يتحملون العبء الإكبر بما يحتم سرعة إعادة المياه للمدينة ، ودفن القتلى ، وبذل كل جهد لإطفاء الحرائق ، وأنه لما كان بين القتلى بعض الجنود الأنجلوفرنسيين ؛ فليس من ضرر فى الاتصال بقيادتهم ؛ لعقد اتفاق وقف إطلاق النار مؤقت ، على نحو ما يعمد إليه ألد الأعداء فى الحروب ، ولا يؤثر على الموقف القتالى للمتحاربين .

وفى الساعة الواحدة ، والنصف اتصل محسن حافظ - الموظف بهيئة قناة السويس

الـذى اعتقلـه الفرنسيون داخـل محطـة ميـاه الـرسوة منذ الصباح - بالقائم مقام حسن رشدى رئيس المباحث العامة بالمدينة وأخطره بأن الـكولونيل شاتوجوبير يـريد حقن الدماء وحضور أحد المسؤولين للتفاوض معه .

وعلـى الفور ، أبلغ رشدى المحـافظ الذى اتصل بالمـوجى ، وأبلغه تلـك الرسالة ، فاتصل الموجى من البـيت الحديدى بالقائم مقام رشدى ، وطلب منه الاتـصال بشاتو جوبير للاتفاق على موعد ومـكان المقابلة . وكانت الساعة وقتئذ قد بـلغت الرابعة عصراً ، إلا أن رشدى لم ينجح فـى الاتصال بشاتو جوبير إلا فى الخـامسة ؛ حيث اتفق معه علـى المقابلة بمحطة مياه الرسوة ، وسـوف يقدم ضابط فرنسى برفقة الموظف الأسير مـحسن حافظ بسيارة أجرة ؛ لمقابلة الوفد المصرى شمال كوبرى الـسكة الحديد بالرسوة ، وعلى الوفد المصرى أن يرفع علماً أبيضاً حتى لا يطلق عليه الـفرنسيون النيران ، وأنه من جانبه سوف يصدر الأمر بوقف النيران ، اعتباراً من الخامسة عصراً لتأمين سلامة المصريين .

وبعد مداولة قصيرة بالبيت الحديدى بين المحـافظ وحكمدار المدينة والموجى والقائم مقام إبراهيم أنور حسين والبكباشى البحرى مظهر الشربـينى قائد البحرية ببورسعيد والقائم مقام حسن رشدى والصاغ الغريب الحسينى قائد الحـرس الوطنى ، اتفق الجميع على ذهاب اللواء حسن البنا حكمدار البوليس مع الأميرالاى الموجى والقائم مقام إبراهيم أنور حسين ؛ لمقابلة شاتو جوبير ليشرح له البنا حالة الأهـالى ، ثم طلب المحافظ من حسن رشدى أن يصحب البنا ليترجم من الفرنسية للعربية .

وعندمـا دخل الوفد المصرى إلـى مبنى محطـة المياه ، تركه الـفرنسيون واقفـاً فى أحد الدهاليز مدة فَاعترض المـوجى وهدد بالانسحاب مما جعل الفرنسيـون يسارعون بإدخال الوفد إلى قاعة وجـدوا بها البريجـادير بتلر والكولـونيل شاتو جوبـير وبعض مراسلـى الصحف الأجانب .

وبعـد أن جلس الجميـع حول المنضدة ، قال بتلر إنه مـن الأفضل وقـف النيران حقناً للدماء ، ثم أشار إلـى صاغ بريطانى ليبدأ التـلاوة من ورقة مكتوبة بشروط التـسليم ، مع تجميع أفراد الجيش المصرى دون سلاح قرب كـوبرى الرسوة ، وأن بتلر سوف يصدر الأمر بحظر التجول ليلاً فى المدينة .

ثم سلم بتلر الموجى تلك الورقة التى ما إن قرأ عنوانها « شروط التسليم » ، حتى ردها إليه على الفور قائلاً إن هذا العنوان لا يليق بكرامة الجيش ، ولا يمكن لجندى شريف أن يقبله .

ووافق بتلر على تعديل العنوان ليصبح « شروط إيقاف النار » فاحتج الموجى للمرة الثانية ، فعدله بتلر للمرة الثالثة إلى « شروط الإيقاف المؤقت للنيران »

ثم خاطب الحكمدار بتلر ، ولفت نظره إلى اعتداء جنوده على الأهالى بوحشية وقتل النساء والشيوخ والأطفال ، وضرب سيارات الإسعاف التى تحمل علامة الهلال الأحمر بوضوح على سطحها وأجنابها ، كما أن انقطاع المياه عن المدينة يمنع فرق الإنقاذ من اداء واجبها فرد شاتوجوبير بأنه سوف يعمل على إعادة ضخ المياه للمدينة ، فأخطره الحكمدار أن عمال المياه بالمحافظة أقدر على القيام بهذه المهمة من غيرهم فلم يعترض أحد .

وإنتهى اللقاء باتفاق الموجى وبتلر على وقف النيران مؤقتاً لمدة ٤ ساعات ، تنتهى فى التاسعة والنصف مساءً ، ثم عاد بتلر وطلب مدها الى العاشرة والنصف ؛ حتى يستطيع إخلاء جرحاه بالخوامات . و مع أن ذلك كان يخدم الموجى ، ويتيح له فرصة إعادة تنظيم دفاعاته وحل مشكلات الأهالى ، فإنه تظاهر بقبول طلب بتلر على مضض .

ولم تكن هناك وسيلة للاتصال بالقاهرة ، سوى عن طريق خط تليفون وحيد بمكتب رشدى ، الذى ظل ينقل لزكريا محيى الدين وزير الداخليه صورة ما يجرى داخل بورسعيد . ونظراً لما ساد الموقف من غموض . . فقد ظنت القاهرة أن الموجى فقد الرغبة فى مواصلة الصمود ، بينما الواقع كان خلاف ذلك .

الغد المجهول[٢٢]

بمجرد عودة الموجى إلى مركز قيادة المقاومة الشعبية ، ركّز على إطفاء الحرائق بالمدينة ودفن جثث القتلى أولا ، ثم راح ينظم المقاومة الشعبية ويعدها للقتال من منزل الى منزل ، ومن شارع الى شارع ، وحتى آخر طلقة ، كما أخرج عربات الإذاعة لتعلن على الأهالى بمكبرات الصوت عن عزم الجيش والمواطنين على الاستماته فى الدفاع .

وكان بتلر قد أخطر الجنرال جايلز ، وهو يطير فى حوامته فوق المدينة بنتائج لقائه مع

الموجى ، الذى سرعان ما نقلها الى كيتلى بقبرص . الذى نقلها بدوره إلى أنتونى هيد وزير الحربيه ، الذى بشر بها إيدن وهو فى مجلس العموم ، تكاد المعارضة أن تأخذ بتلابيبه .

ونظراً لغموض البلاغات وتكرار نقلها من شخص إلى آخر ، فقد ظن إيدن أن محافظ المدينة وقائدها العسكرى قد استسلما ، فهب واقفًا ليصفع المعارضه بهذا النصر العظيم[٢٣] الذى لم يدم إلاّ ساعات قليلة ، قبل أن تقوم محطه الإذاعة بأسيوط بتكذيبه جملة وتفصيلا ، وتؤكد أن المدينة الباسلة عازمة على القتال حتى آخر نفس ، يتردد فى صدور مواطنيها وجنودها الشجعان .

واضطر إيدن تحت ضغط الحقيقة إلى أن يعود للمجلس ؛ لينفى ما زعمه آنفاً عن استسلام المدينة[٢٤] ، فهب معظم الأعضاء يوجهون إليه الشتائم والإهانات ، ويطالبونه بالاستقالة الفورية ، فشهدت القاعة من رخيص الكلام ما لم يتردد بين جدرانها ، منذ جلسة الحكم على الملك شارل الأول بالإعدام شنقاً فى منتصف القرن السابع عشر .

وبينما إيدن يعانى من تلك المحنة ، كان اللواء محمد عبد الحكيم عامر يتصل هاتفيًا بالعميد الموجى ؛ حيث دار بينهما الحديث التالى فى الساعة الثانية بعد منتصف ليلة ٥/٦ نوفمبر[٢٥] :

عامر : ماذا فعلت مع بتلر يا موجى ؟

الموجى : لقد فعلت ما أملاه على واجبى وضميرى . . . .

عامر : حسناً . . . ولكن هل سمعت عن الإنذار السوفييتى ؟

الموجى : لم أسمع شيئا فليس عندى جهاز راديو هنا .

عامر : لقد أصدر بولجانين إنذاراً شديداً للحكومات المعتدية ، هذا نصه . . . ولهذا فإننى اطلب منك الاستمرار فى الصمود ٢٤ ساعة أخرى ، وقد أرسلت لك ٢٠٠٠ جندى من الحرس الوطنى لمعاونتك ، وهم فى الطريق إليك ، وسوف يصلون فى بحر نصف ساعة .

وتملّكت الموجى الدهشة لوعد القائد العام أن يمده بالفين من جنود الحرس الوطنى ليواجه بهم عشرين الفاً يهاجمون المدينة تحت سيطرة جوية كاملة . . . ثم تحولت الدهشة إلى كمد ، عندما طال إنتظاره دون ان يصل منهم أحد . . . ولم يغمض للمدينة جفن طيلة تلك الليلة المشحونة بالمأسى والوعود فى انتظار الغد المجهول ، الذى ما إن لاح فجره حتى بدأ اليوم المشهود . . . والغزو الموعود .

توثيق الفصل الثانى عشر

(١) Cavenagh, Sandy : Airborne To Suez, William Kimber, London, 1965.

وأيضًا : Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 620.

(٢) Op.Cit.: The Suez Expedition, p. 31 and, p. 136.

وأيضًا : Op.Cit.: Elusive Victory, p. 203.

(٣) Stockwell, General Sir Hugh : Suez From The Inside (Sunday Telegraph, London, 30/10 – 6/11/1966 and 13/11/1966).

وأيضًا : Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 620.

وأيضًا : Keightley, General Sir Charles : Operations In Egypt (Her Majesty's Stationary Office, London, 12/9/1957).

(٤) Ibid.

وأيضًا: Op.Cit.: The Suez Expedition, pp.51,58,71,79,81,87,85–86.

وأيضًا : Ibid.

(٥) Ibid.

وأيضًا : Ibid.

وأيضًا : Ibid.

(٦) Ibid.

وأيضًا : المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٧٩ .

وأيضًا : Op.Cit.: The Twice Fought War, p.

(٧) Ibid.

وأيضًا : المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(٨) Ibid.

وأيضًا : المصدر نفسه : ص ٨٢-٨٣ .

(٩) Ibid.

وأيضًا : المصدر نفسه : ص ٧٩-٨٢ .

(١٠) Ibid.

وأيضًا : المصدر نفسه : ص ٨٨-٩٠ .

(١١) Ibid.

(١٢) Op.Cit.: The Suez Expedition, pp. 85–86.

وأيضًا : المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ص ١١٣-١١٤ .

(١٣) Ibid, p. 137.

وأيضًا : المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ص ١١١-١١٣ .

(١٤) Ibid, p. 136.

(١٥) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ص ١٠٦-١١٠ .

(١٦) المصدر السابق ، دار المحفوظات المركزية العسكرية ، الملف رقم ٢٤/٥/ ، مسلسل ١١١ ، كود ٣٧ .

(١٧) المصدر نفسه : وأيضًا .

Leulliette, Pierre, St. Michael and the Dragon : Houghton Mifflin, Boston, 1964.

وأيضًا : Op.Cit.: Operation In Egypt.

وأيضًا : Op.Cit.: Egypt From The Inside.

وأيضًا : Op.Cit.: The Suez Expedition.

وأيضًا : المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ص ١٠٦-١١٠ .

(١٨) المصدر السابق ، دار المحفوظات المركزية العسكرية : مذكرة عن معركة بورسعيد ، الملف رقم ١١١ كود ٣٧ ، رقم القيد ع/١/١٢/١٧٨٢ بتاريخ ١٥/١١/١٩٥٦ .
وأيضًا تقرير عن معركة بورسعيد ، الملف رقم ٣/١٥٣ ، مسلسل ٧٣ كود ٣٧ .
وأيضًا : Op.Cit.: The Suez Expedition, pp. 101–107.

(١٩) Op.Cit.: Operation In Egypt, p. 47.
وأيضًا : Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 602.

(٢٠) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ص ١٢١ .
وأيضًا : Op.Cit.: The Suez Expedition, pp. 104.

(٢١) المصدر السابق ، دار المحفوظات المركزية العسكرية : الملف رقم ٦/٤٦٤ ، مسلسل ١٢٢ ، كود ٣٧ ، تقرير عن معارك بورسعيد ، بقلم الصاغ الغريب محمد الحسينى، قائد قوات الحرس الوطنى بمنطقة بورسعيد ، بتاريخ ٨/١١/١٩٥٦ .
وأيضاً : تقرير القائمقام حسن رشدى ، مفتش المباحث العامة فرع القناة .
وأيضًا : الملف رقم ١٥٣ ، مسلسل ٧٣ ، كود ٣٧ .
وأيضًا : تقرير الأميرالاى صلاح الدين صادق الموجى ، قائد الدفاع عن بورسعيد .
وأيضًا : Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 603–605.

(٢٢) المصدر نفسه .
المصدر نفسه .
المصدر نفسه .

(٢٣) Op.Cit.: Full Circle, pp. 552–553.
وأيضًا : Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 605–606.

(٢٤) Ibid, p. 553.

(٢٥) Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 612.

الفصل الثالث عشر

اليوم المشهود .... والغزو الموعود

مقدمة - الساعة الرابعة والربع فجراً - الساعة الخامسة والربع فجراً - الساعة السادسة والربع صباحاً - البلدة الخالية - الساعة السابعة صباحاً - الساعة التاسعة والنصف صباحاً - الساعة الحادية عشرة صباحاً - ستوكويل يرغب فى حفل كبير - الساعة الثانية عشرة ظهراً - القتال فى غرب المدينة - التحام الجيش بالشعب - القتال فى الجمرك - القشة التى قصمت ظهر إيدن - حشو الجراح بالملح - صدمة العمر .

مقدمة :

قصفت المدافع الأنجلوفرنسية بورسعيد بمليون كيلو جرام من المفرقعات فى صباح ٦ نوفمبر

لم يهتد رجلا السلام - إيدن وموليه - إلى وسيلة للفصل بين المتحاربين ؛ صوناً لسلامة قناة السويس ، حسب التبرير المزعوم فى إنذارهما المشترك مساء الثلاثاء ٣٠ أكتوبر ، إلا أن يقصفا بلدة بورسعيد الوادعة صباح يوم ٦ نوفمبر بنحو مليون كيلوجرام من المفرقعات شديده الانفجار على امتداد ٤٥ دقيقة ، ثم يطلقا ٢٠ ألف جندى لاجتياح البلدة ، وهدمها فوق رؤس من بقى من أهلها أحياء[١] .

وكان مما أزعج ضمير العالم أنهما ارتكبا كل هذا العدوان الوحشى ، دون أن يصطبغ وجه أحدهما بحمرة الخجل !

ولقد سبق لهتلر وموسولينى أن ارتكبا اعتداءات مشابهة على بلاد أخرى وادعة ، إلا أنهما كانا أكثر حذقاً وأشد إقناعاً من إيدن وموليه فى اختلاق الذرائع ؛ لتبرير تلك الاعتداءات الوحشية ، كما كانا أكثر حنكة فى إدارتها لأزمنة أطول ، فلم تتحطم أعصاب إحدهما ، وهو مازال فى مستهل القتال . . .

الساعة الرابعة والربع فجراً[٢]

انتظمت مائتان وسبعون سفينة من مختلف الأنواع فى تشكيل المعركة على مسافة ٣٥٠٠ متر من شاطىء بور سعيد[٣] . وبعد أن اتخذت أوضاع الاشتباك تخطتها سفن الإنزال التى كانت تقف خلفها ، ثم انقسمت إلى مجموعتين ، اتجهت أولاهما نحو شرق شاطىء بور سعيد ، تحمل اللواء ٣ فدائيين بحريين من ثلاث كتائب ، بينما اتجهت الثانيه نحو غرب الشاطئ ، تحمل اللواء ١٩ فدائيين بحريين من كتيبتين ، وراحت كل مجموعة منهما تنزل حاملات الجنود البرمائية وعائمات الدبابات من جوفها وفوق سطحها . وتم كل ذلك بينما ٥٠ سفينة من الأسطول السادس الأمريكى ، ترقب العملية من مكان قريب داخل البحر .

الساعة الخامسة والربع فجراً[٤]

اكتسحت الطائرات الأنجلوفرنسية شاطىء بور سعيد على امتداد ٤٥٠٠ متر ، وأمطرته بالقنابل والصواريخ ومدافع الماكينة لمدة ١٠ دقائق ، فأشعلت النيران فى أكشاك الاستحمام والمنشآت القريبة .

ولم تكد الطائرات ترحل فى الساعة الخامسة وخمس وعشرين دقيقة ، حتى فتحت ١٢ مدمرة و ١٥ فرقاطة نيرانها على المدينة ؛ فدمرت معظم المبانى المطلة على البحر ، كما امتدت آثارها للداخل ، فاشتعلت الحرائق وقتلت كثيرين تحت أنقاض منازلهم .

واستمرت قذائف الأسطول تنهمر على المدينة لمده ٤٥ دقيقة ، وعندما توقفت فى الساعة السادسة وعشر دقائق ، كانت سحب الدخان الكثيفة تغطى الشاطىء ، وتنعقد فوق مدينة بور سعيد تتخللها ألسنة اللهب الصاعدة للسماء .

وأثناء هذا القصف البحرى العنيف ، كانت موجات الإبرار البحرى القائدة والمشكلة من الكتيبتين ٤٠ و ٤٢ الفدائيين البحريين ، وآورطة دبابات سنتوريان من ١٦ دبابة تقترب من الشاطىء .

جنود الموجة الأولى من الإبرار البحرى الأنجلوفرنسى تقترب من شاطئ بورسعيد صباح ٦ نوفمبر

وقبل وصولها إليه بخمس دقائق ، توقفت نيران الأسطول فجأة ، واستأنفت الطائرات القصف الجوى بالصواريخ لمدة ٣ دقائق ، ثم قفلت عائدة فى الساعة السادسة و ١٣ دقيقه .

الساعة السادسة والربع صباحاً[٥]

وصلت المركبات البرمائية وعائمات الدبابات إلى شاطيء بور سعيد ؛ حيث انتشرت يميناً ويساراً لتقتحم الدفاعات المرابطة فيه ، والتى لم تكن تملك سوى مدفعين ضد الدبابات عيار ٥٧ ملليمتراً ، علاوة على مدفعى هاون ٨١ ملليمتراً لتقابل بهم الغزو البحرى .

وفتح المدفعان نيرانهما المصوبة ؛ فأصابا دبابتين ، قبل أن تدمرهما نيران الدبابات التالية ، ثم زحف الفدائيون حتى وصلوا إلى سلسلة المبانى الخرسانية على امتداد الشارع الموازى للبحر ، وهم يطلقون قذائف البازوكا ومدافع الدبابات والقنابل اليدوية فى كل اتجاه ، ويغمرون المنطقة بالرشاشات ونيران المدافع ١٠٦ ملليمترات .

البلدة الخالية[٦]

ولم يصادف عملية الغزو البحرى فى بور فؤاد مقاومة تذكر ؛ إذ كانت المقاومة قد توقفت فى البلدة فى الليلة الماضية ، وأصبحت خالية من المدافعين .

الساعة السابعة صباحاً[٧]

بعد تأمين رأس الشاطيء فى بور سعيد حتى شارع ٢٦ يوليو ، راحت الإمدادات تتدفق بحراً وجواً على قوات الغزو ، ثم صدرت الأوامر فى الساعة السابعة بأن تستعد الكتيبة ٤٥ فدائيين بحريين ؛ لإقتحام الشاطيء بالحوامات من فوق حاملتى الطائرات الهجومية أوشن وتيسوس .

وحلق قائد تلك الكتيبة بحوامته فوق منطقة الاقتحام الرأسى ، إلا أن سحب الدخان الكثيفة جعلته يخطيء فى مكان النزول ، فيتجاوزه غرباً حيث حاول الهبوط فى ملعب البلدية ؛ الذى تدافع عنه سرية مشاه ، قابلته بنيران أسلحتها الصغيرة ؛ فلاذت الحوامات بالفرار ، بعد أن أصيب بعضها برصاصات المدافعين .

الساعة التاسعة والنصف صباحاً[٨]

هبطت ٢٢ حوامة من طراز هويرلوبند وسيكامور فوق المنطقة المحددة لها شرق بور سعيد ، وخلال ٩٠ دقيقة تم إنزال ٤١٥ جندياً و ٢٣ طناً من المعدات الحربية .

الساعة الحادية عشرة صباحاً[٩]

تحركت الكتيبة لاحتلال شرق المدينة ، بينما كانت بعض السفن الحربية تقتحم مدخل البوغاز ، وتحاول الوصول إلى أرصفة الميناء ، وهى تحمل جنود الألاى السادس المدرع ، عدا الأورطة التى اشتركت فى اقتحام الشاطيء فجراً .

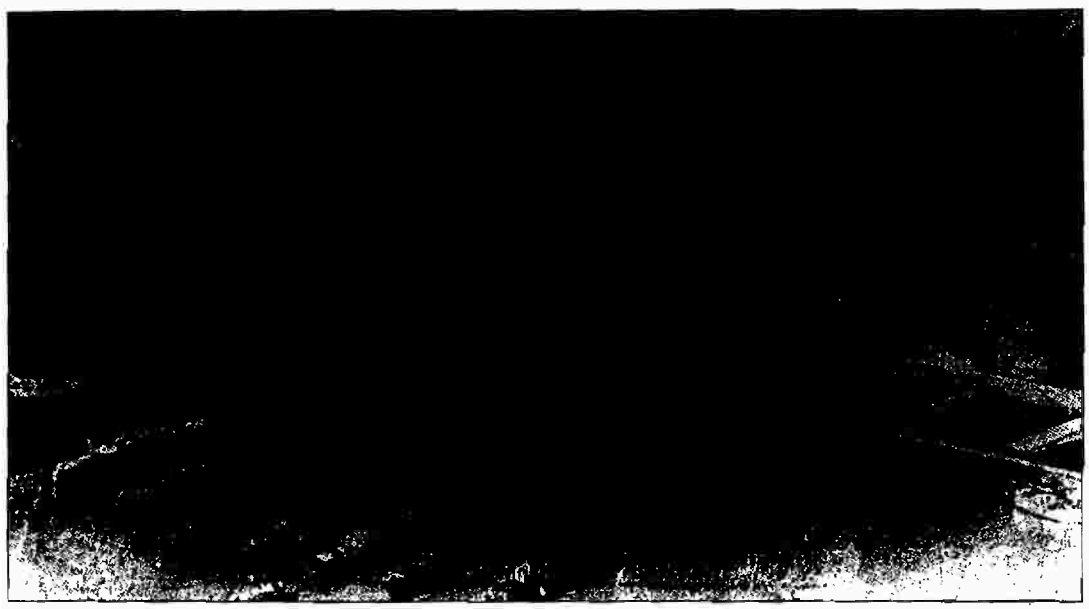

وفى الساعة ١١ ظهراً إقتحمت بعض السفن الحربية مدخل البوغاز

وجاء فى الموجات التالية باقى اللواء الثالث المظلات ، وهو على أهبة الاستعداد لاستغلال النجاح والاندفاع جنوباً ، خلال عنق الزجاجة ؛ للوصول إلى مخرجها على مسافة ٤٠ كيلو متراً جنوب بور سعيد .

ستوكويل يرغب فى حفل كبير !(١٠)

ووقع الموجى حوالى الساعة العاشرة صباحاً فى أسر البريجادير مادوك قائد اللواء الثالث الفدائيين الملكى ، الذى كلّف الماجور دافيد جراهام أحد زملاء الموجى فى دورة مدفعية ساحلية بقلعة بليموث منذ بضع سنين بأن يقوم بحرا ستة .

وفى نفس هذا الوقت ، كان الجنرال ستوكويل والجنرال بوفر ومارشال الجو بارنت يستقلون لنشاً لمقابلة الكونت فينشتى ماريرى قنصل إيطاليا ببور سعيد ، الذى كان قد اقترح عليهم الحضور إلى دار القنصلية للبحث عن مخرج ؛ يجنّب المدينة المزيد من الخراب ، وصادف اقتراحه هوى فى نفوسهم ، خاصة عندما أخبرهم أن محافظ المدينة والأميرالاى الموجى موجودان طرفه .

وباقتراب اللنش من مبنى هيئة قناه السويس بجوار أحواض السفن جنوب الميناء ، انهالت عليه طلقات المدافعين التى أصابت جسم اللنش برصاصات كثيرة ، بينما لم يتعرض ركابه لأية خسائر . واستدار اللنش بعيداً عن المنطقة ، وعندما وصل إلى ميناء الصيد عند الطرف الشمالى للقناة وجدها آمنة فأنزل ستوكويل وصاحبا ، واتجهوا مباشرة إلى مبنى القنصلية الإيطالية تسبقهم دبابة لتأمين الطريق .

وجلس ستوكويل يكتب شروط الاستسلام ، التى انتوى عرضها على المحافظ والقائد العسكرى المسئول ، وقد اهتم بأن يضمنها شرطاً بضرورة عمل حفل استسلام كبير ، يذاع على الملأ بمختلف وسائل الإعلام .

وعبثاً حاول ستوكويل أن يراود المحافظ أو الموجى على التوقيع ، فانفض الاجتماع قرب الظهر ، وعاد ستوكويل إلى مركز قيادته ؛ ليباشر إدارة المعركة التى كانت قد بلغت وقتها الذروة فى الشدة .

الساعة الثانية عشرة ظهراً(١١)

أضحى إجمالى القوات الأنجلوفرنسية التى تم إبرارها حتى ذلك الوقت جواً وبحراً فى شاطيء الغزو لواء من المظليين ، ولواء من الفدائيين البحريين ، و٢ ألاى فرنسى من ٦ كتائب ، و٣ كتائب فدائيين بحريين فرنسيين وألاى وأورطة دبابات خفيفة ، مقابل ثلاث كتائب مصرية قد فقدت أسلحتها الثقيلة ، وحرمت من المعاونة الجوية ، وتعرّضت للضرب الجوى العنيف طيلة الأسبوع المنصرم ، وسقط عديد من جنودها جرحى وشهداء .

القتال فى قلب المدينة[١٢]

بدأت الكتيبة ٤٢ فدائيين بحريين التقدم داخل المدينة ، وهى ممتطية حاملات الجنود البرمائية والمدعمة ببضع دبابات سنتوريان . وما إن تخطت منطقة الشاطىء حتى قوبلت بالتصفيق والهتاف من الجماهير ، ظناً منهم بأنها القوات السوفيتية التى وعدهم بها القائد العام بالأمس ، فلما تبين للمدافعين حقيقتها صبوا عليها نيراناً شديدة من حول مبنى المحافظة ؛ حيث كانت قوة من الجنود متحصنة هناك بالبنادق والرشاشات ، ومعها هاونين عيار ٨١ ملليمتراً .

وتقدمت دبابات السنتوريان داخل المدينة

ورغم قلة عدد المدافعين . . فقد نجحوا فى إيقاف الفدائيين البحريين ، الذين بادروا باستدعاء المقاتلات القاذفة لتنقض على الموقع ، وتدمر مبنى المحافظة وما حوله من المنازل . وبعد القضاء على جنود الموقع الذى أوقف زحف الفدائيين البحرين نحو ساعة ، استأنفت الكتيبة ٤٢ زحفها فى اتجاه شارع محمد على ؛ بهدف الاتصال بقوة المظليين الفرنسيين بالرسوة على جناح السرعة .

إلا انها بمجرد أن دخلت الشارع ، وقعت تحت وابل من النيران والقنابل اليدوية التى انهالت عليها من النوافذ والشرفات والسطوح ، بينما مدافع الدبابات السنتوريان تكتسح الشارع والأبنية على الجانبين بقذائفها وطلقات رشاشاتها .

واستغرقت الكتيبه نحو ساعتين فى عبور الشارع ، الذى لا يزيد طوله على الكيلومتر الواحد ، فلم تصل إلى موقع الفرنسيين لوجود سرية مصرية متحصنة فى المبانى شمال أرض الجولف مباشرة .

استغرق عبور شارع محمد على نحو ساعتين

وكانت مؤخرة الكتيبة لا زالت متعثرة داخل شارع محمد على ؛ حيث عطلتها المقاومة العنيفة من الجيش وجماهير الشعب ، بما اضطر الجنرال ستوكويل إلى أن يدفع الكتيبة ٤٥ فدائيين بحريين بمجرد هبوطها بالحوامات لمعاونة هذه المؤخرة وتخليصها من ورطتها ، وقد عززها بأورطة دبابات سنتوريان إضافية لهذه المهمة.

التحام الجيش بالشعب[١٣]

ظلت السيطرة على المعركة من جانب القيادة المصرية تتضاءل بعد أن وقع العميد الموجى

فى الأسر داخل مبنى الفنار فى العاشرة صباحاً ، حتى اصبحت شبة منعدمة بعد الظهر ، وبدأ القتال يتخذ شكل المقاومة التلقائية من منزل لمنزل ، ومن شارع لشارع ، واندمج الجنود فى الشعب ؛ فسببوا متاعب جمّة للمعتدين ، دفعتهم إلى زيادة العنف والإفراط فى تدمير المبانى وإحراقها بالعبوات الحارقة .

وواصلت الكتيبة ٤٥ فدائيين بحريين المدعمة بالدبابات مهمتها ، بعد أن نجحت مؤخرتها فى الانضمام اليها حوالى الساعة الثالثة والنصف عصراً ، إلا أنها عندما حاولت الاتصال بالكتيبة الثالثة مظليين المحصوره داخل المضيق الواقع شرق الجميل ، فشلت فى اختراق أوكار المدافعين التى اعترضت طريقها ، وتحملت خسائر كثيره جعلتها تلجأ إلى الحوامات لتنقض بجماعاتها المسلحة فوق سطوح المبانى ؛ لإحكام السيطرة عليها وعلى الشوارع والحارات الجانبية .

كما قامت تلك القوات بإحراق المبانى فى منطقة واسعة تقع إلى الغرب من مبنى المحافظة ، بإلقاء عبوات حارقة داخلها اشعلت الحرائق الضخمة فى عشرات المنازل ؛ مما أجبر سكانها على مغادرتها الى منطقة الشاطىء ؛ هرباً من ذلك الأتون الذى راح يلتهم كل شىء . وظلت تلك الحرائق تضطرم فى المدينة ، حتى ساق الله سبحانه وتعالى المطر الغزير قبيل نهاية ذلك النهار المشهود ، فأطفأ الحرائق بينما الظلام يسدل أستاره على المدينة الباسلة .

وظلت الكتيبة ٤٢ مظليون متوقفة أمام أرض الجولف ؛ نظراً لعنف المقاومة حتى عمدت إلى نفس أسلوب الكتيبة ٤٥ السابق ذكره ، فاستدعت الحوامات لتدك المنازل وتدمر اوكار الرشاشات . ولم يكن عدد المدفعين فى تلك المنطقه يزيد على مائة مدنى وعسكرى ، ظلوا يصدون هجمات العدو المتفوقة ، حتى أخر ضوء ، عندما تمكن المظليون أخيراً من اجتياح مواقعهم ، وإتمام الاتصال بالفرنسيين فى منطقة الرمسوة ، الذين تنفسوا الصعداء بأتمام هذا الاتصال .

وعلى الرغم من أن الخطة كانت تقضى عندئذ بدفع باقى اللواء ١٦ المظلى المدعم بدبابات الالاى ٦ المدرع ، خلال عنق الزجاجة صوب القنطرة بمجرد إتمام الاتصال

بالفرنسيين فى الرسوة إلا أن الجنرال ستوكويل لم يكن قد اطمأن بعد على السيطرة على المدينة بدرجة كافية ، فقرر تأجيل دفع تلك القوات لموعد سوف يحدده فيما بعد .

« . . . واضطرمت الحرائق فى المدينة . . . »

القتال فى الجمرك (١٤)

بينما كانت تلك المعارك سالفة الذكر تدور بعنف شديد وسط وجنوب بور سعيد ، كانت الكتيبه ٤٠ فدائيين تعانى هى الأخرى من عنف المقاومة المصرية شرق المدينة ، وعلى امتداد المنطقة لمجاورة للميناء ، وخاصة فى ذلك المستطيل المحصور بين شارعى التحرير والسلطان حسين .

وكانت مهمة هذه الكتيبة سرعة الاستيلاء على منطقة الجمرك ، وأحواض السفن الأربعة فى القسم الجنوبى من الميناء ؛ حتى يمكن إبرار القوات الرئيسية اللاحقة من سفنها الى تلك الأرصفة مباشرة . كما كان الاستيلاء على هذه المنطقة يتيح للقوات اللاحقة أن تتفادى التورط داخل المدينة المشتعلة بالنيران ، والانطلاق من جانبها الشرقى نحو الجنوب مباشرة ، دون التعرض للمشكلات الكثيرة داخل المدينة سواء من عنف المقاومة ، أو انتشار الحرائق أو ضيق الشوارع والطرقات .

ولم تصادف الكتيبة ٤٠ فدائيين مقاومة تذكر ، وهى تندفع عبر شارع السلطان حسين الموازى لسور الميناء ؛ حيث أغلب السكان من الأجانب ، فتمكنت طلائعها من الوصول إلى مرسى معدية بور فؤاد ، عند الطرف الجنوبى للشارع فى زمن وجيز .

وأثناء تحرك باقى الكتيبة ، صدرت لها الأوامر بالانحراف يميناً لتأمين القنصلية البريطانية ؛ حيث بدأت متاعبها ؛ إذ تورطت فى قتال عنيف مع المقاومة التى أحاطت بها من كل جهة . وظلت مدافع دبابات السنتوريان عيار ٢٠ رطل تدك المبانى ، التى تصدر منها قذائف المقاومة التى أنزلت بجنود الكتيبة عدة خسائر ، قبل أن تتابع الزحف لاحتلال مبانى الجمرك وأرصفة الميناء حيث اصطدمت للمرة الثانية بمقاومة شديدة فقدت خلالها اثنان من الضباط ، قبل أن تنجح فى السيطرة على المنطقة .

ولم يتوقف القتال داخل منطقة الجمرك ، بل راحت المقاومة تزداد عنفاً وضراوة ، بعد أن تجمعت فى مبنى البحرية وتحصنت داخله ، ثم راحت تمطر المعتدين بنيرانها فتصيبهم الواحد تلو الآخر .

ووقفت الكتيبه طويلاً أمام تلك المقاومة الاخيره ، وراحت دباباتها ومدافعها تهدم جدران مبنى البحرية ، بينما الساعه تقترب من الرابعة ، وتنذر بقرب حلول الظلام . ورغبة فى المزيد من السرعة ، عمدت إلى تكرار نفس الأسلوب للمرة الثالثة ، فجاءت المقاتلات القاذفة لتصب نيرانها على مبنى البحرية وتهدمه على رؤوس من فيه . وبحلول الظلام كان المبنى قد تحول إلى انقاض ، وعندما دخله الجنود لم يجدوا فيه سوى الشهداء والركام .

القشة التى قصمت ظهر إيدن :

شعر المحيطون بإيدن أن أعصابه راحت تفلت منه منذ جلسة الصباح ، عندما تلقى

الضربة القاضية من وزير خزانته الذى فاجأه بقرب انهيار الاقتصاد البريطانى ، ما لم يوقف الحرب على الفور . وفى الساعة السادسة من مساء ٦ نوفمبر ، أبلغه ، ريتشارد بتلر زعيم مجلس العموم أن صديقه الأمريكى هيوبرت همفرى رفض رجاءه بالوساطة عند الرئيس ايزنهاور ؛ ليسمح للمملكة المتحدة بسحب القرض الذى طلبته من صندوق النقد الدولى ، وأن همفرى ختم المكالمة الهاتفية بخشونة قائلا « ليس امامكم سوى حل واحد ، هو أن توقفوا النيران فوراً وتنسحبوا من بور سعيد » [١٥] .

وجمع إيدن وزراءه ليتخذ القرار الذى لم يعد منه فكاك . ووافق الجميع على وقف إطلاق النار ابتداء من الساعة الثانية بعد منتصف ليلة ٦/ ٧ نوفمبر بتوقيت القاهرة ، وبهذا توقف الغزو البحرى ، قبل أن تمر ١٨ ساعة على بدايته [١٦] .

ويقى على إيدن أن يخطر زميل التواطؤ جى موليه بالنبأ ، وقد وصف بينو الذى انتدبه موليه للرد على مكالمة ايدن الهاتفية ؛ نظراً لاجتماعه وقتها بمستشار ألمانيا الغربية كونراد اديناور تفاصيل تلك المحادثة بأنه سمع صوتاً متحشرجاً يكاد ينكسر ، يقول : لم يعد فى الإمكان أن نستمر ، ولابد أن نوقف الحرب الآن ، فالإسترليني يترنح والفزع فى كل مكان ![١٧]

وطلب بينو من إيدن أن يتمهل ولو ٤٨ ساعة أخرى ؛ ليعطى الجنرال كيتلى الفرصة لنهو المهمة ، فأجابه إيدن . . . إننى لا أستطيع الصمود ساعة أخرى . وعندما حاول بينو طمأنته بأن فرنسا تقف وراءه بكل ثقلها ، رد إيدن بأنه قد اعتمد أمر إيقاف النار فعلاً ، ولم يعد هناك ما يمكن النقاش فيه ويقول بينو إنه شعر عندئذ أنه يتحدث مع رجل ميت [١٨].

حشو الجراح بالملح :

قبل ان تنفض جلسة المساء بمجلس العموم ، دخل إيدن ليعلن على النواب أن حكومة صاحبه الجلالة أمرت بوقف النيران فى منتصف ليلة ٦/ ٧ نوفمبر بتوقيت جرينتش ، ما لم يهاجم جنودها أحد . وكأنه القى بقنبلة شديدة الانفجار ؛ إذ وقف الأعضاء المحافظون يهتفون له ، بينما العمال . والأحرار يصرخون فى وجهة بألفاظ نابية [١٩] .

واستطاع جيتسكيل بعد لأى أن يسمع صوته بين هذا الضجيج الهائل ؛ فخاطب الأعضاء مؤكدا أن القناة لم تكن معرضة لأية أخطار ، قبل أن يتدخل إيدن بشريعة الغاب التى سوف تفتح شهية الدب الروسى لممارسة الكثير من العدوان بعده [٢٠] .

ثم خرجت صحف المعارضة صباح ٧ نوفمبر ، تحمل الكاريكاتير اللاذع والسخرية الشديدة بإيدن ، الذى ذهب بجيوشة إلى مصر ؛ ليدعم مصالح الغرب فى قناة السويس ، ويحطم مركز الرئيس عبد الناصر فى الشرق الأوسط فحطم القناة ، ودعم مركز الرئيس عبد الناصر كما ظهر بواحدة منها كاريكاتيراً تهكمياً لإيدن وموليه ، وهما يرقصان رقصة الفشل .

وكان الرئيس أيزنهاور قد حشى جراح إيدن بالملح فى تلك الليلة ، عندما حاول إيدن استغلال فارق الوقت بين لندن وواشنطن ؛ ليتصل هاتفياً بأيزنهاور فى الساعة الثامنة والثلث بتوقيت البيت الأبيض ، ويسترضيه بعد أن أوقف إطلاق النار بناءً على نصيحته ، وليقترح عقد قمة ثلاثية بينهما وموليه فى الصباح .

وأبدى أيزنهاور موافقته فى البداية ، إلا أن كبير موظفى البيت الأبيض شيرمان آدامز لفت نظرة إلى المناورة الخسيسة التى يخفيها هذا الاقتراح ، الذى يقصد إيدن منه أن يقنع العالم بأن الولايات المتحده عادت إلى دعم السياسات الأنجلوفرنسية فى الشرق الأوسط ، ولم يجد ايزنهاور بدا من أن يحشو جراح إيدن بالملح ، فيعتذر عن تلك المقابلة [٢١] .

صدمة العمر :

بعد ذلك الاجتماع الفاشل فى دار القنصلية الإيطالية ، خرج ستوكويل ونائبه بوفر إلى الساحل ؛ لتفقد قوات الغزو وحثها على الإسراع فى إنجاز مهام القتال . وفى الساعة الرابعة

عصراً ، عقد مؤتمراً لإصدار تعليماته لليوم التالى ؛ فأمر بتلر بالزحف بجنود المظليين جنوبًا للاستيلاء على أبو صوير ومطارها ، بينما يستولى الجنرال ماسو على الإسماعيلية . وكان على البريجادير مادوك ولواء الفدائيين أن يقضى خلال الغد على المقاومة النشطة فى بور سعيد (٢٢) .

وحان وقت عودة ستوكويل إلى سفينة القيادة تاين ؛ ليأخذ حظة من الراحة ، بعد هذا اليوم الشاق الطويل ، وما إن حطت به الحوامه فوق سطح السفينة ، بينما الشمس تختفى خلف خط الأفق حتى فاجأه ياوره بصدمة العمر ؛ إذ ناوله برقية عاجلة ، تأمره بوقف إطلاق النار اعتباراً من الساعة الثانية بعد منتصف الليل .

ويقول ستوكويل إنه بعد أن اجتاز تلك الصدمة ، حدثته نفسه أن يأمر بتلر بالإسراع باحتلال الإسماعيلية قبل منتصف الليل ، إلا أنه صرف النظر عن ذلك نظراً لضيق الوقت (٢٣) .

أما نائبه الجنرال الفرنسى اندريه بوفر ، فبعد أن غادر مبنى القنصلية الإيطالية توجه إلى مركز قيادة الكولونيل شاتو جوبير قرب وصلة القناة العرضية حيث عقد مؤتمرا حضره البريجادير بتلر والجنرال ماسو ، وبعض قادة التشكيلات المخصصة لعمليات الغد بالاندفاع نحو الجنوب (٢٤) .

وتم الاتفاق على أن يتقدم بتلر بحرس أمامى نحو القنطرة ، خلال ساعات الظلام على أن يتبعه ماسو بالقوة الأساسية . وخلال تلك الليلة ، تستعد الكتيبة الثالثة مظليو المستعمرات الفرنسية بقيادة الكولونيل بيجار ؛ للإسقاط فوق القنطرة بين الساعة ٧ و ٨ من صباح ٧ نوفمبر . وإذا وجد الجنرال ماسو ، أن الهجوم يسير طبقا للخطة الموضوعة . . فإنه يستطع حينئذ أن يدفع الكتيبة الأولى المظلات الخفيفة قيادة الكولونيل ماير ؛ لاقتحام الإسماعيلية بعملية إبرار جوى فى الساعة الثالثة عصراً على الأكثر . (٢٥)

وبعد أن ودَّع بوفر ماسو فى الساعة ٦ مساءً على وعد باللقاء فى القنطرة باكر صباحاً ، عاد إلى اللنش الذى نقله إلى سفينة القيادة الخاصة به « جوستاف زيديه » ، بعد مغامرة ليلية محفوفة بالخطر فى بحر مظلم هائج . وما إن جلس إلى طعامه الذى لم يتناول منه شيئاً منذ الصباح ، حتى جاءته إشارة من الأدميرال بارجو فى الساعة السادسة و ٤٢ دقيقة

تنذره بقرب صدور الأمر بإيقاف النيران فـى المسرح . وبمجرد أن أكمل عشاءه ، دخل عليه أحد مرؤوسيه فى الساعة الثـامنة ليخطره بأن محطة الإذاعة البريطانية أعـلنت للتو عن قبول حكومتا المـملكة المتحدة وفرنـسا وقف النيران فى منتـصف الليل - بتوقيـت جرينتش - أى الساعة الثانية بعد منتـصف الليل بتوقيت القاهرة [٢٦] ، ويصف بوفر ما أصابـه عندئذ بأنها كضربة قوية أصابت فُم معدته .

الجنرال ماسو يتلقى نبأ وقف القتال من الساعة العاشرة من مساء ٧ نوفمبر

توثيق الفصل الثالث عشر

(١) المصدر السابق ، دار المحفوظات المركزية العسكرية : الملف رقم ٢٤/ ٥ ، مسلسل ١١١ ، كود ٣٧ ، مذكرة عن معركة بورسعيد ، رقم القيد ع/ ١/ ١٢/ ١٧٨٢ بتاريخ ١٥/ ١١/ ١٩٥٦ .

وأيضاً : الملف رقم ٣/١٥٣ ، تقارير عن معركة بورسعيد ، يومى ٥ و ٦ نوفمبر ١٩٥٦ .

(٢) Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 616.

(٣) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ص ١٢٥ .

وأيضًا : Op.Cit.: The Suez Expedition, pp. 108–110.

(٤) المصدر السابق ، دار المحفوظات المركزية العسكرية : الملف رقم ٣/١٥٣ ، مسلسل ٧٣ ، كود ٣٧ ، مذكرة عن معركة بورسعيد بقلم العميد أركان الحرب صلاح الدين صادق الموجى .

وأيضًا : Op.Cit.: Keighley, General Sir Charles, Suez From The Inside, p. 51.

(٥) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ص ١٢٥ .

(٦) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(٧) المصدر نفسه ، ص ١٢٦ .

وأيضاً : المصدر السابق : دار المحفوظات المركزية العسكرية : الملف رقم ٣/١٥٣ ، مسلسل ٧٣ ، كود ٣٧ ، مذكرة عن معركة بورسعيد ، بقلم العميد أركان الحرب صلاح الدين صادق الموجى .

(٨) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(٩) المصدر نفسه .

(١٠) Op.Cit.: The Elusive Victory, pp. 206.

وأيضًا : Op.Cit.: The Suez Expedition, pp. 109–111.

وأيضًا : المصدر السابق ، دار المحفوظات المركزية العسكرية : الملف رقم ٦/٤٦٤ ، مسلسل ١٢٢ ، كود ٣٧ ، ملف معلومات وتقارير عن بورسعيد ١٩٥٦ ، تقرير القائمقام حسن رشدى ، مفتش المباحث العامة فرع القناة .

(١١) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ص ١٢٧ .

(١٢) المصدر نفسه ، ص ١٢٧–١٢٨ .

(١٣) المصدر السابق ، دار المحفوظات المركزية العسكرية : الملف رقم ٥/٢٤ ، مسلسل ١١١ ، كود ٣٧ ، مذكرة عن معركة بورسعيد ، رقم القيد ع/ ١/ ١٢/ ١٧٨٢ بتاريخ ١٥/ ١١/ ١٩٥٦ .

وأيضًا : Op.Cit.: The Elusive Victory, pp. 207–208.

وأيضًا : Op.Cit.: The Suez Expedition, pp. 103–107.

(١٤) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، المجلد الثانى ، ص ١٢٩–١٣٠ .

وأيضًا : المصدر السابق ، دار المحفوظات المركزية العسكرية : الملف رقم ٦/٤٦٤ ، مسلسل ١٢٢ ، كود ٣٧ .

وأيضًا : الملف رقم ٥/٢٤ ، مسلسل ١١١ ، كود ٣٧ .

وأيضًا : Op.Cit.: The Suez Expedition, pp. 103–107.

(١٥) Op.Cit.: Full Circle, pp. 556.

وأيضًا : Op.Cit.: The Suez 1956, pp. 209.

وأيضًا : Op.Cit.: The Story of Suez, pp. 146.

(١٦) Ibid.

وأيضًا : Ibid.

وأيضًا : Ibid.

(١٧) Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 626.

(١٨) Ibid.

وأيضًا : Op.Cit.: Warriors At Suez, pp. 410–411.

(١٩) Ibid, p. 628.

وأيضًا : Ibid, p. 413.

(٢٠) Ibid, p. 628–629.

وأيضًا : Ibid, p. 413.

(٢١) Ibid, p. 629–630.

وأيضًا : Ibid, p. 414–415.

(٢٢) Op.Cit.: The Suez Expedition, pp. 114–117.

(٢٣) Op.Cit.: Stockwell, General Sir Hugh, Suez From The Inside, Sunday Telegraph, London, 30 Oct. – 6 Nov. and 13 Nov. 1966.

(٢٤) Op.Cit.: The Suez Expedition, pp. 123–124.

(٢٥) Ibid.

(٢٦) Ibid.

الفصل الرابع عشر

ضباب حول قرية الكاب

مقدمة - محاولات ساخنة فى باريس - محاولة إنقاذ ما لا يمكن إنقاذه - الموقف بعد وقف النيران - وكأنما انطفأت النيران لتشتعل المقاومة - التعليق " الحرب بالوكالة - الشرائع والقوانين الدولية - الذرائع الواهية - ورطة العنق الطويل - ووكسة الدفاع الهزيل - المعنويات والاحتياجات - الشؤون الإدارية - «زوبعة فى فنجان»

مقدمة

فى نفس تلك الليلة التى انهار فيها إيدن ، وأوقف إطلاق النار فى المسرح ، وتلقى ستوكويل صدمة العمر وبوفر ضربة فم المعدة ، جلس وزيران بإحدى القاعات الجانبية بمجلس العموم ، يستعيدان أحداث الأيام العصيبة الماضية ، فلخص أحدهما للأخر - وكان ممن عملوا طويلاً مع إيدن - كيف جنح إلى الدكتاتورية فى معالجة مشكلة القناة بدرجة لم يبلغها تشرشل نفسه فى الأعوام الخمسة التى أدار خلالها الحرب العالمية الثانية ، ولقد عقد إيدن العزم على الحرب منذ أقال الملك حسين جلوب باشا بضغط أجهزة الإعلام المصرية ، فلما أمم الرئيس عبد الناصر شركة القناة ، كانت هى نقطة اللاعودة فى الحرب . ولقد دأب على الاجتماع سراً بالجنرال كيتلى من وراء ظهورنا جميعاً ، ودون أن يهتم بإخطارنا بما يرسمه فى الخفاء . وكان من الواضح للجميع أنه قد صمم على تحطيم الرئيس عبد الناصر كعدو شخصى ، وليس مجرد خصم سياسى ، وكان دافعه إلى ذلك تجربة ميونيخ عام ١٩٣٨ ، عندما تقاعس نيفيل تشامبرلين رئيس وزراء المملكة المتحدة عن إعلان الحرب على

هتلر ، وقبل شروطه باحتلال النمسا وضمها ، ففتح بذلك شهيته لابتلاع العالم على نحو ما حدث خلال سنوات ١٩٣٩ ، ١٩٩٤٠ ، ١٩٤١ [١] .

ومضى كل منهما يبث الآخر همه ، وما سوف يترتب على تلك المغامرة الأنجلوفرنسية الطائشة من أضرار بليغة بسمعة المملكة الكتحدة ، وتردى هيبتها بين الحكومات والشعوب ، وزوال ملكها فى آسيا وإفريقيا .

مداولات ساخنة فى باريس :

بمجرد أن ودع موليه ضيفه أديناور ووزير خارجيته برينتانو، جمع مجلس وزرائه لمناقشة قرار إيدن بوقف النار فى الساعة الثانية من منتصف الليل . وعلى خلاف وحدة الرأى بين وزراء حكومة إيدن . . فإن وزراء موليه بمجرد أن أستمعوا إلى النبأ ثار بينهم جدل عنيف جداً ، وانقسموا إلى فئات مؤيدة لوقف النار ، وأخرى معارضة ، وثالثة تحث على مواصلة الهجوم مع الحليف الإسرائيلى ؛ حتى يتم احتلال القاهرة وإسقاط الرئيس عبد الناصر ، لاسيما وأن تقاعس إيدن عن الاستمرار فى القتال ، يحل إسرائيل من سابق وعدها ألا تعبر القناة بقواتها المسلحة التى تقف الآن عن كثب منها ، ولا تحتاج إلا لساعة أو ساعتين لتحكم قبضتها عليها[٢] .

ولفت الوزير شابان دالماس نظر المجلس إلى أن البريطانيين يقفون الآن أمام الوحدات الفرنسية ، عند مدخل عنق الزجاجة المؤدى إلى الإسماعيلية « فهل أنتم على استعداد للمروق بينهم حتى ولو استدعى ذلك إطلاق النار ؟ » [٣] .

ثم أيده الوزير بينو مذكراً الجميع أن القيادة الأنجلوفرنسية مشكلة من ضباط من الطرفين ، بصورة يستحيل معها أن يعمل أى منهما من وراء ظهر الآخر . وبعد أن اتهم خطة موسكتير المعدلة النهائية بالغباء لاختيارها بورسعيد كشاطئ غزو ، بدلاً من الأسكندرية التى تقود مباشرة إلى القاهرة ، أكد لزملائه أنه وإن ظل يعارض الحرب منذ البداية ، إلا أنه يعارض الآن وقفها ، قبل أن تحقق أهدافها التى باتت فى متناول اليد[٤] .

واستغرق إقناع بينو وبورجس مونورى نحو الساعة ؛ ليؤيدان وقف النيران ، نزولاً على طلب إيدن .

محاولة إنقاذ ما لا يمكن إنقاذه :

كانت الساعة قد جاوزت العاشرة والنصف مساءً ، عندما تلقى البريجادير بتلر أمر ستوكويل بوقف إطلاق النيران ، اعتباراً من الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، مقروناً بفقرة تشجيعية تحضه على ألا يتردد في الاستيلاء على كل ما يستطيع أن يستولى عليه ، خلال تلك المدة القصيرة [٥] .

وتلقى البريجادير بتلر تشجيعًا بألاّ يتردد فى الاستيلاء على كل ما يستطيع الاستيلاء عليه

ولم يأخذ بتلر وقتاً فى دفع الكتيبة الثانية المظليين وأورطة دبابات سنتوريان نحو الكاب الواقعة على مسافة ٣٧ كيلومتراً من بورسعيد . ولما حلت الساعة الثانية ، توقف بتلر بدبابته البرمائية التى كان يقود منها الرتل . وعندما انبلج ضباب الصباح ، وتجلت طبيعة الأرض لنظر بتلر وجنوده ، راعهم أنهم توقفوا فى مكان سئ من وجهة النظر التكتيكية إذ كانت الأرض المسيطرة على مسافة كيلومتر واحد جنوب الموقع المنخفض الذى توقفوا عنده .

وبعد ٢٨ دقيقة من إيقاف النار ، أذاع صوت بريطانيا بالعربية أن المملكة المتحدة وفرنسا قد أنقذتا مصر من أن تحتلها إسرائيل ، فلولا الدرع الذى وضعتاه بينهما لاستولت إسرائيل على القناة ، بل وربما القطر المصرى كله .

« ولما حلّت الساعة الثانية توقف بتلر بدباباته عند بلدة الكاب . . . »

وهكذا انتهت الحرب التى خطط لها بن جوريون من مدة طويلة ، ليقيم الكومنولث الإسرائيلى الثالث ، وأراد موليه أن يسحق بها ثورة الجزائر بإسقاط الحكم القائم فى القاهرة ، بينما عزم إيدن على أن يحطم الرئيس عبد الناصر حيث أن الدنيا لا تتسع لهما معاً ، ولذلك فعلى عبد الناصر أن يذهب .

الموقف بعد وقف النيران :[٦]

استمر ستوكويل فى فرض سيطرته على بورسعيد وإعادة الحياة إلى مجراها الطبيعى والتودد إلى الأهالى ، إلا أن جماهير الشعب لم تبد أى استعداد لمهادنة المعتدين ، فمنذ اللحظة الأولى حرصوا - حتى قبل أن يتم توحيد الجهود داخل المدينة - على رفض التعامل مع قوات الإحتلال رغم الإغراءات السخية ، وشاركوا بجدية فى أعمال المقاومة .

ثم راحت المقاومة تأخذ أشكالاً أشد ضراوة من مجرد توزيع المنشورات وكتابة الشعارات على الحوائط والسخرية بالمعتدين . وعندما تولت قوات الصاعقة - التى دخلت المدينة عن طريق بحيرة المنزلة - تنظيم المقاومة المسلحة تطورت الأمور ، حتى جعلت إستمرار العدو فى احتلال المدينة أمراً باهظ التكلفة شديد الإرهاق للجنود .

واتخذت هذه المقاومة صورة حرب العصابات ، والضربات السريعة المفاجئة ، وخطف الجنود ، وجمع أسلحتهم ، ثم ظلت تتسع مجالاً وتشتد عنفاً حتى انسحب آخر الأعداء من المدينة يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٥٦ ، ليصبح غده عيداً وطنياً لها .

إنسحاب القوات البريطانية من بورسعيد

وكأنما انطفأت النيران لتشتعل المقاومة :

بدأت المرحلة الأولى من أعمال المقاومة المسلحة من بورسعيد باستطلاع أوضاع العدو ، ودخول المزيد من الفدائيين وقوات الصاعقة المصرية إلى المدينة ، ثم تتابعت الأحداث خلال تلك المرحلة على النحو التالى :

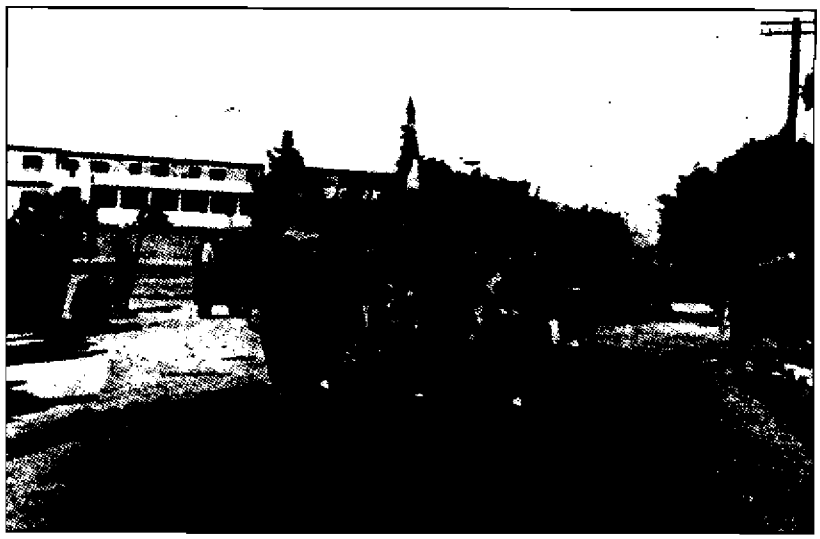

وانسحاب القوات الفرنسية

١ - دخلت عناصر الصاعقة المدينة يوم ٦ نوفمبر عبر بحيرة المنزلة ، ووصلت إلى كوبرى الرسوة المكلفة بنسفه ، إلا أنها قبل أن تشعل المفجرات ، جاءها الأمر بإلغاء النسف واستطلاع المنطقة بغاية الدقة ، ثم العودة إلى قرية المنزلة جنوب البحيرة التى تحمل اسمها .

٢ - وفى يوم ٨ نوفمبر ، صار توزيع عناصر الصاعقة فى مجموعات صغيرة ، يقود كل واحدة منها ضابط متمرس على الأعمال الفدائية . وأثناء عودة إحدى هذه الجماعات من مهمة استطلاع أوضاع العدو ، تصدت لها القوات البريطانية عند شاطئ المنزلة ، فسارع الضابط إلى إحدى المستشفيات ؛ حيث ربط ساقه بضمادات أخفى داخلها الوثائق التى يحملها ، ثم غادر بورسعيد بقطار الجرحى .

٣ - وفى يوم ١٣ نوفمبر ، قامت داورية أخرى باستطلاع مواقع القوات الفرنسية فى بورفؤاد ، وحصلت على معلومات مدعمة بالصور الفوتوغرافية ، كما راقبت نظام الحراسة الذى فرضه البريطانيون على نقطة عبور بحيرة المنزلة فى منطقة القابوطى ؛ لتحديد الثغرات المحتملة التى يمكن استغلالها فيه .

٤ - وفى ١٨ نوفمبر ، استكملت داوريات الاستطلاع أعمالها عن طريق بورسعيد - الإسماعيلية ، ومناطق الرسوة والحيطان ، فحددت مواقع العدو وتجهيزاته الهندسية ، وما حولها من أسلاك شائكة وأبراج مراقبة وأنوار كاشفة .

ثم بدأت المرحلة الثانية بعد إتمام استطلاع مواقع العدو بالمدينة وضواحيها ، وتحديد نظام الحراسة والتأمين فى تلك المواقع ، ودخول أفراد الصاعقة الى بور سعيد عن طريق بحيرة المنزلة بأسلحتهم وذخائرهم ، التى صار إخفاؤها فى أماكن مختلفة ، ودون أن تشعر القوات الأنجلوفرنسية بذلك .

واستغلّت الصاعقة عدة محاور ووسائل لدخول المدينه المحاصرة ، وبمجرد أن أحكمت قيادتها السيطرة على أفرادها ، بدأت عملياتها التى أزعجت المحتلين ، وسببت لهم كثيراً من الخسائر فى المعدات والافراد ، التى نسوق منها على سبيل المثال لا الحصر ، الآتى بعد :

١ - فى يوم ١٥ ديسمبر ، أغار أفراد الصاعقة ليلاً على ملجأ للدبابات البريطانية قرب حى المناخ ، ودمروا خمس دبابات وعدة عربات . واستخدموا فى هذه الإغارة عدداً من القواذف الصاروخية المضادة للدبابات ، وكذا الرشاشات الخفيفة والقصيرة ، والقنابل اليدوية ، وصاحب تلك الإغارة عدة هجمات أخرى قامت بسبع عشرة عملية فى أماكن متفرقة ، فبلغت جملة خسائر العدو فى الأفراد ليلتها ٢٥ جندياً ، مقابل رقيب واحد من الصاعقة ، أحاطت به داورية معادية ؛ ففجر قنبلة يدوية قضت عليهم وعليه معاً .

٢ - ومنذ مطلع شهر ديسمبر ، كان بعض أفراد الصاعقة قد نجحوا فى اختطاف الملازم البريطانى أنتونى مور هاوس بينما كان يزيل صور الرئيس عبد الناصر من الحوائط ، ورغم ما بذلته قيادته من جهد خارق للعثور عليه ؛ فقد فشلت فى إنقاذه ، حتى قامت السلطات المصرية بتسليم جثته بعد أن إختنق فى الصندوق الذى وضع فيه قبل أن يتمكن آسروه من إخراجه منه ، بسبب نشاط الدوريات البريطانية حول المنزل الموجود به [٧] .

٣ - وإستمر تزايد نشاط الأعمال الفدائية التى تركزت ليلاً بعد تشكيل مجموعات مدربة عليها من المواطنين والصاعقة . وكان لتلك المجموعات أثر كبير ؛ إذ قامت

بإطلاق النار على دوريات العدو ونسف عرباته ، ونجحت فى إصابة ضابط المخابرات البريطانى فى بورسعيد بجرح بليغ تسبب فى بتر ساقه ، وأربكت وشتت جهود العدو .

٤ - ثم إتفق أفراد الصاعقة والمواطنون على تقسيم العمل بينهما ، فكانت الصاعقة تهاجم ليلاً ، بينما المواطنون ينشطون نهاراً ؛ مما أجبر العدو على زيادة الحراسات والسير بعرباته فى الطرقات بسرعة عالية ، تجنباً للقنابل اليدوية التى تسقط عليه من شرفات المنازل ونوافذها .

٥ - ولم يتوقف نشاط المقاومة حتى تم انسحاب الأعداء من بورسعيد بعد ٤٧ يوماً من بدء الغزو البحرى ، تلك الأيام التى أطلق عليها بعض الجنود اسم « أيامنا السوداء فى بورسعيد » .

التعليق :

الحرب بالوكالة :

على خلاف ما عهدناه من حروب الوكالة أن تنهض الدولة العميلة بالجهد الرئيسى الذى دفعتها دولة الأصالة إليه ، مقابل دعمها سياسياً وإمدادها بالأسلحة والأموال والخبرات والمعلومات ، فإن العبء الأكبرفى حرب العدوان الثلاثى وقع على الدولتين الكبيرتين - المملكة المتحدة وفرنسا - بينما اقتصر دور إسرائيل على عمل ثانوى ، علاوة على مهمة خلق الذريعة للتدخل الأنجلوفرنسى بافتعال حالة صراع مسلح على مشارف قناة السويس ، تعرض الملاحة فيها للخطر .

الا أن هذا الدور الأنجلوفرنسى الرئيسى كشف عن جهل معيب بالمتغيرات الدولية ، التى دخلت على العلاقات بين الأمم فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، عندما راحت السياسة والإستراتيجية العليا لحكومتى المملكة المتحدة وفرنسا تمارسان دبلوماسية مدفع البارجة (Gun Boat Diplomacy) ، بعد أن ولى زمانها ، وأمست نشازاً فى عالم القطبية الثنائية ، وتطلع البلاد التى طال استعمارها إلى نسمات التحرر الوطنى .

الشرائع والقوانين الدولية :

تنقسم الحروب من وجهة نظر الشرائع السماوية والقوانين الوضعية ، إلى نوعين مختلفين تمام الاختلاف :

١ - فهى إما حروب مشروعة تخوضها الشعوب دفاعاً عن عقيدتها ودفعاً للظلم وحماية للأهل والأرض ، وحتى تظل كلمة الله هى العليا .

٢ - وإما حروب ظالمة يشنها المعتدون لقتل النفس ، التى حرم الله إلا بالحق ، أو سلب الأرض وإستباحة ملك الغير ، والبغى ونشر الفساد فى الأرض

بهذه المعايير يعتبر الغزو البحرى الأنجلوفرنسى لمصر عام ١٩٥٦ وصمة عار ، لطخت جبين من أضرم ناره، ثم راح يدعمه بالذرائع الواهية التى كانت كلها أقبح من الذنب . وقد أدلى الفيلد مارشال مونتجمرى أحد مشاهير قادة الحرب العالمية الثانية برأيه فى هذا العدوان ، فكان مما قاله " ما كنت لأقبل أن أقوده ، ولم أكن لأصرف تسعين يوماً فى الإعداد له ، ثم أقبل وقف القتال ولم تمض تسعون ساعة على بدئه " .

أدلى الماريشال مونتجمرى برأيه فى الغزو الأنجلوفرنسى فقال : « ما كنت لأقبل أن أقوده . . . »

الذرائع الواهية :

تعجب العالم من سلسلة الذرائع المهترئة التى راحت حكومتا إيدن وموليه تختلقان الجديد منها كل صباح ؛ لستر افتضاح الذريعة السابقة بالأمس ، ثم زاد العجب لعجز

الدهاء الاستعمارى العتيد عن الاهتداء إلى مبرر مقنع ، يكون أكثر قدرة على الصمود على صخرة الحقيقة ، التى تحطمت عليها الذرائع السابقة ·

وعندما أحرجت حكومة إسرائيل حليفتيها بقبول وقف إطلاق النيران فى المسرح ، قبل أن يبدأ الغزو البحرى الأنجلوفرنسى الذى جاء ليوقف تلك النيران التى توقفت فعلاً ، تحولت تمثيلية الذرائع إلى ملهاة كوميدية أثارت السخرية والتهكم من الصديق قبل العدو ، وأثبتت للعالم مرة أخرى أن الذرائع بضاعة سريعة العطب ·

ورطة العنق الطويل :

ذكرنا آنفا أن الجنرال تشارلز كيتلى القائد العام لقوات الغزو انتقد طبيعة المخرج من ساحل بورسعيد ، وشبهه "بعنق الزجاجة الطويل الذى يتعين على المرء أن يحشر فيه يده حتى الكوع ، قبل أن يصل إلى ما فى بطن الزجاجة من سوائل ·"

أما الجنرال هيو ستوكويل قائد عام القوات البرية ، فكان أكثر وضوحاً وأشد اقتضاباً فى نقده لشاطئ الغزو بقوله ··· " إنه أسوأ مكان للغزو البحرى ، فلا هو يصلح للهجوم ، ولا هو يسمح بالانطلاق خارجه "

وكانت كلمة العسكريين الأنجلوفرنسين قد اجتمعت على تفضيل الساحل غرب الإسكندرية لشن العملية ؛ نظرًا لأنه الأكثر مناسبة ، والأقرب للقاهرة ، فضلاً عن خلو المحور الصحراوى إليها من أعناق الزجاجة والمناطق المبنية ·

إلا أن نزول قوات الغزو فيه كان يسقط كل الذرائع ، التى تزعم الحرص على سلامة القناة ، ولهذا أصر السياسيون على النزول فى بورسعيد ليقع كيتلى وستوكويل فى ورطة القتال فى المناطق المبنية ، ثم ورطة الخروج من ذلك العنق الطويل النحيل ·

ووكسة الدفاع الهزيل

بدأ الغزو البحرى الأنجلوفرنسى لبورسعيد ، وليس بالمدينة سوى اللواء ٩٧ حرس وطنى ، ثم الكتيبة الرابعة المشاه التى وصلت لتوها من سيناء بعد حركة دائبة بين ٣٠ أكتوبر و٤ نوفمبر لم يذق أفرادها خلالها طعمًا للراحة ، كما أوقعت بها غارات العدو خسائر فادحة فى الأفراد والمعدات على نحو ما سبق ذكره ·

ورغماً عن عدم التكافؤ بين القوة لقائمة بالدفاع عن بور سعيد ، والقوات القائمة بالغزوالبحرى من حيث مقارنة عدد الأفراد التى تفوق فيها الأنجلوفرنسيون بأكثر من ١١:١ والمعدات التى زاد تفوقهم فيها على ٥٠:١ ، والجو الذى امتلك العدو السيادة غير المنازعة فى سماء المعركة فقد تقبل المدافعون خوض القتال الذى اندلع فجر ٥ نوفمبر بروح عالية .

إلا أن قوة الضربة وشدة نيران الطائرات ومدافع الأسطول أرهق المدافعين ، وحدَّ من قدرتهم على القتال يوم ٦ نوفمبر ، لاسيما وقد غلبت كثرة المهاجمين شجاعة المدافعين ، الذين لم يسمح الوقت الضيق ولا الجهل بتفاصيل المدينة التى لم يدخلوها ، إلا قبل اشتعال القتال بيوم أو يومين فقط أن يرسموا خطة محكمة للدفاع أو ينشئوا الاستحكامات والتجهيزات الهندسية الضرورية للصمود ، فالواقع أنهم كانوا غرباء عن المدينة التى يتطلب القتال فى المناطق المبينة حسن الإلمام بها . وخلاصة القول أن القيادة الشرقية والقيادة العامة لم توفر للمدينة وشاطئها القدر المناسب من القوت والأسلحة والموانع والاستحكامات لمواجهة عملية غزو بحرى ، تشنها دولتان كبريان بقوات ومعدات وإمكانات ضخمة .

وزاد من خطورة هذه الأوضاع أن كثيرًا من الضباط والجنود البريطانيين كانوا على دراية أفضل بالمدينة ، التى لم ينزحوا عنها إلا من أربعة أشهر فقط عندما تم جلاء قوات الإحتلال البريطانى عنها يوم ١٨ يونيو ١٩٥٦ .

وكانت الظاهرة المثيرة للقلق سيطرة العدو الجوية ، وشدة نيران مدافع الأسطول ، بينما الطرف الأخر يفتقر إلى المعاونة الجوية ، التى اختفت تماماً من سماء المدينة طيلة أيام الغزو البحرى لسابق تدمير طائرات مصر ليلة ٣١ أكتوبر ونهار ١ نوفمبر . وعلاوة على تلك الظاهرة القاسية ، فلم تكن الأسلحة كافية ، ولا الضبط والربط محكماً ، ولا عدد الضباط مناسباً فى مقابل عدد الجنود وأفراد المقاومة الشعبية ، مع ضخامة المهام القتالية والإدارية ، والأعباء المدنية حيال أهالى بورسعيد وبورفؤاد .

وقبل بدء الحرب ، تم تدريب عدد كبير من أفراد المقاومة الشعبية على استخدام السلاح الذى اقتصر على البندقية العتيقة لى انفيلد عيار ٣٠٣,٠ من البوصة ، والرشاش القصير الانكستر . ثم وصلت صباح ٥ نوفمبر شحنة من البنادق والرشاشات ، تكفى أفراد المقاومة الشعبية من أسلحة الترسانة السوفيتية عيار ٧,٦٢ ملليمتراً ، لم يسبق التدريب عليها . وصار توزيع تلك الأسلحة ولا يزال عليها شحم التخزين الطويل ، بينما مظليو بتلر وشاتو

جوبير وفوسى فرانسوا يهبطون على المدينة ، والغارات الجوية تكتسح شواطئها ومنازلها وطرقاتها . ورغم ذلك قاتل أفراد المقاومة الشعبية بروح عالية وواجهوا المتاعب الجمة التى صادفتهم وتحملوا الخسائر الكثيرة التى وقعت فى جموعهم ؛ نظرًا لضعف مستوى خبرتهم بالقتال فى المناطق المبنية .

« واقتصر سلاح المقاومة الشعبية على البندقية العتيقة طراز لى أنفيلد . . . »

وكان لامتلاء المدينة بسكانها أثره البالغ فى نفوس المدافعين عنها ، خاصة بعد اشتداد الغارات الجوية ونيران الأسطول ، وانتشار الدمار والحرائق ، وانطلاق الأهالى فى الطرقات والميادين هرباً من النيران . ووقع أفرا د المقاومة الشعبية وأغلبهم من سكان المدينة فى حيرة شديدة ، هل يستمرون فى التصدى للأعداء ، أم ينقذون أهلهم وأطفالهم من المحنة التى يتعرضون لها . وظهر للجميع أن إخلاء المدينة من العجائز والنساء والأطفال ، كان أمراً ضرورياً قبل أن يقع الغزو ، إلا أنه فات على السلطة المختصة أن تنجزه .

ولم تتمكن كتائب الجيش المصرى من الدفاع فى المناطق المبنية ؛ حيث كانت المنازل مكتظة بسكانها ، وبمن لجأ إليها ممن دمرت بيوتهم ، فاضطر الجنود إلى إقامة الدشم من شكاير الرمل على أرصفة الشوارع ونواصيها فى أماكن مكشوفة لدبابات العدو وحواماته المسلحة ، التى كانت تنزل فوق سطح المنازل لتحصد الأفراد المدافعين تحتهم فى الدشم وتهدمها عليهم .

واستحال قفل الشوارع و إقامة المتاريس والسدادات فى مواجهة دبابات السنتوريان التى كانت تقتحمها بسهولة ، بينما الحوامات توفر لها الوقاية من الجو . ثم زادت قبضة الأعداء على المدينة بالاستيلاء على الأماكن المسيطرة داخلها وخارجها ، علاوة على المرافق العامة ومواقع الخدمات الأخرى .

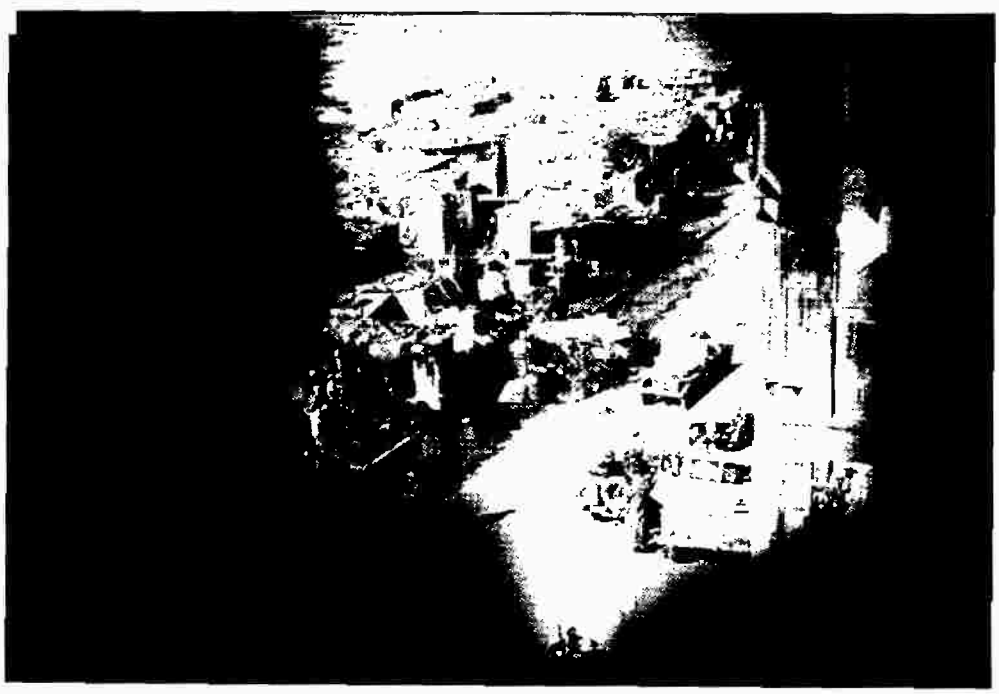

ثم زادت قبضة الأعداء على المدينة

المعنويات والاحتياجات :

سبقت الإشارة إلى العوامل الكثيرة ، التى أثرت على معنويات العسكريين والمدنيين بالمدينة بصفة عامة ، والتى ظلت عالية خلال يوم ٥ نوفمبر وحتى عصر ٦ نوفمبر ، ثم أخذت تتدهور تدريجياً نتيجة للأسباب الأتية :

١ - استمرار الغارات الجوية وقصف الأسطول ، وقد بلغ عدد الغارات ٥٠٠ طلعة طائرة ، ألقت نحو ٢٥٠ طناً من القنابل والصواريخ والمواد الحارقة على المدينة وضواحيها ، خلال يوم ٥ نوفمبر وحده .

٢ - سقوط قذائف الأسطول فى كل مكان ، وما تبعها من تدمير المنازل الذى أوجد إحساساً بعدم وجود مكان آمن بالمدينة كلها ، بينما نجح المظليون فى محاصرتها وقطع المياه عنها عدة ساعات ؛ مما جعل الحرائق التى كانت تشتعل داخلها أكثر ضراوة والتهابا .

٣ - كثرة الشهداء فى الشوارع وانتفاخ الجثث وعجز المستشفيات وعربات الإسعاف القليلة عن إخلاء الجرحى ، حتى اضطر الأهالى إلى استخدام عربات الكارو والناقلات اليدوية . ثم زاد الأمر سوءاً بضرب المستشفى الحكومى بقنابل الأسطول ، وإصابة أربعة مستشفيات أخرى على الساحل مما أوقف الخدمة الطبية عن العمل .

٤ - وقد أظهرت بعض الجاليات الأجنبية شماتة وشعوراً معادياً ، وصل إلى حد قيام أفراد منها بإطلاق النيران من النوافذ على ظهور الجنود المصريين من الخلف فى أحرج أوقات القتال ؛ مما أجبر هؤلاء الجنود على محاربة العدو المهاجم وعملائه من الأجانب فى وقت واحد .

٥ - وكانت الوعود التى يبذلها القائد العام بالقاهرة عن دفع القوات للمدينة للمساعدة فى الدفاع عنها ، ثم الزعم بقرب وصول القوات السوفيتية للاشتراك فى القتال سبب آخر فى خفض المعنويات عندما لم تصل تلك القوات فى المواعيد المزعومة ؛ بالإضافة إلى اهتزاز الثقة بكل ما يأتى من القيادة العامة من معلومات أو توجيهات بعدئذ ، وهو ما ينبغى عدم الوقوع فيه تحت أى مبرر أو دافع لذكر غير الحقيقة

المجردة . ويكفى ما حدث من مقابلة الاهالى للدبابات المعادية بالتصفيق والترحيب ظنًا بأنها الدبابات السوفيتية التى بشرهم بها القائد العام ، فلم يدركوا حقيقتها حتى فتحت عليهم النيران التى قتلت وأصابت كثيرين منهم غيلة ، وما من شك فى أن الدرس المستفاد من هذا الموقف ، ومن أشباهه خلال الجولات العربيه الإسرائيلية يؤكد بصفة قاطعه ضرورة الالتزام بالحقيقه وتوخى الصدق ، فيما يتداوله الرؤساء والمرؤوسين بينهم من تعليمات وبلاغات .

الشؤون الإدارية :

كانت الأوامر قد صدرت قبيل الغزو البحرى بتحويل المدينة إلى قلعة دفاعية ، ذات كفاية ذاتية بتكديس المؤن والذخائر والأدوات الطبية فى مختلف أرجائها ؛ لتكون قادرة على مواصلة الصمود ردحاً طويلاً من الزمن .

غير أن ضيق الوقت ، وتراخى الأجهزة الإدارية المسؤلة ، وتفوق العدو الجوى الساحق ، حال دون تحقيق هذا المطلب الهام ، فلم تكدس الأغذية أو الذخائر ، ولم تملأ مستودعات المياه والخزانات قبل بدء العدوان . وظل مستودع الأغذية بالطرف الجنوبى للمدينة يمدها بالطعام ؛ حتى دمرته طائرات العدو ، قبل أن يسقط فى يد جنود الأعداء فى نهاية اليوم الأول للمعركة .

زوبعة فى فنجان :

تبقى كلمة عن مسألة وقف النيران المؤقت ، الذى تم الاتفاق عليه بين العميد الموجى والبريجادير بتلر عصر ٥ نوفمبر ، والذى أثار زوبعة من الجدل أثناء وعقب الغزو ، رغم أن الموجى نجح خلال ذلك الاجتماع فى إقناع بتلر بإعادة ضخ المياه للمدينة ، وحبس النيران من الجانبين ؛ حتى يقوما بإخلاء جثث القتلى من الطرقات ، قبل أن تتحلل وتنشر الأوبئة والأمراض .

فمنذ الحروب الصليبية وهذا إجراء معتمد ، يعمد إليه ألد الأعداء ويطبقونه ، وكثيراً ما اتفق عليه قادة الحلفاء وقادة ألمانيا الهتلرية إبان الحرب العالمية الثانية ، كما إن اتفاقية جنيف تقره وتقننه وتنظم أسلوب الإتفاق عليه وتنفيذه ، ثم العودة إلى فتح النار عندما ينتهى الأجل المتفق عليه .

ولهذا . . فقد كان مثيراً للدهشة أن يعترض البعض عليه ، ويوعز إلى القيادة بالقاهرة أن القائد المسؤول عن الدفاع فى بورسعيد قد أخل بمسؤولياته ، عندما قبل الإتصال بالعدو ، وما ترتب على ذلك من إحالته و١٦ ضابطاً إلى التقاعد فى منتصف يناير ١٩٥٧ رغم أنه هو الذى تطوع لقيادة الدفاع عن بورسعيد عندما أحجم الآخرون ، وأن تصرفاته واعتداده بشخصه فى مواجهة قادة الأعداء ، عندما اجتمع بهم ، ثم ما بذله من جهد لتنظيم الدفاعات رغم قصر المدة المتاحة ، كانت الدافع للجنرال ستوكويل أن يشهد له بالشجاعة والكفاءة وعزة النفس ، فيما رواه عنه للكاتب كينيت لوف بعد الحرب[٨] .

الأميرالوى أ. ح صلاح الدين الموجى وإلى يمينه اللواء على على عامر
قائد القيادة الشرقية المصرية فى حرب التواطؤ الثلاثى

توثيق الفصل الرابع عشر

(١) Op.Cit. : The Twice Fought War, p. 623.

(٢) Ibid : p. 626

وأيضًا : Op.Cit. : Warriors At Suez, pp. 410–411.

وأيضًا : Op.Cit. : Suez 1956.

وأيضًا : Pineau, Christian : Le Monde (Paris), 4 Nov. 1966.

(٣) Ibid, Same Page.

(٤) Ibid, Same Page.

(٥) Ibid, p. 629.

(٦) المصدر السابق ، دار المحفوظات المركزية ، الملف رقم ٦/٤٦٤ ، مسلسل ١٢٢ ، كود ٣٧ ، معلومات وتقارير عن بورسعيد ١٩٥٦ ، تقرير القائمقام حسن رشدى ، مفتش المباحث العامة فرع القناة .

وأيضاً : الملف ٦/٤٦٤ ، المسلسل ١٢٢ ، كود ٣٧ ، رقم القيد ٧٠٦٩/ ٩٠ /١٢ بتاريخ ١٩٥٦/١١/١١ ، تقرير البكباشى عبد الفتاح عرفة ، قائد خفر السواحل ببورسعيد .

(٧) المصدر السابق ، دار المحفوظات العسكرية المركزية ، الملف رقم ٦/٤٦٤ ، مسلسل ١٢٢ ، كود ٣٧ ، إدارة المخابرات العامة ، المجموعة ٨٨ ، تقرير عن عملية اختطاف الضابط مور هاوس يوم ١٩٥٦/١٢/١١ ، الساعة السابعة والنصف صباحاً ، رقم القيد ٤٤٩ بتاريخ ١٩٥٦/٢/٢٦ .

(٨) Op.Cit. : The Twice Fought War, p. 604–605.